

سلسلة بطولات إسلامية

- ٥ -

# معاذ بن جبل إمام العلماء

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
“معاذ إمام العلماء يوم القيمة”

تألیف

د. محمد ابراهيم نصر ٦ محمد مصطفى سلام

تعدّ عدداً من القصص والسير  
في موقع المفكرة الدعوية  
[www.dawahmemo.com](http://www.dawahmemo.com)

دار السواع  
النشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جَمِيعِ الْحَقُوقِ الْمُخْتَوِظِينَ  
الْعَدْلَ الْثَانِيَةُ

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

سَارِ اللَّوَاءُ      الْمُلْكَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْسُّعُودِيَّةُ - الرِّيَاضُ - شَارِعُ الْمُلْكِ فِيصل  
صَفَرَ بَرِّيَّا ٢٨٥٣ - مَنْتَقَدُ ٤٠٦٨٠٦٦ - بِرْ قَيْهَا - نَشْرَ دَارُ

## تقديم المؤلف

ذعاءٌ من القلب :

\* اللهم إِنكَ تعلمُ أَنِّي أَكْتَبُ عَنْ  
صَحْابِي جَلِيلِ أَحْبَبِهِ رَسُولِكَ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأَحْبَبَهُ كَثِيرٌ مِّنْ خَلْقِكَ ،  
لَا يَدْلِهُ فِي طَاعَتِكَ ، وَفِي رِحْمَاتِكَ  
وَفِي حِجَّتِكَ .

\* اللهم هبْ قلمي الضعيف قدرة  
عَلَى إِظْهَارِ شَخْصِي فِي الصُّورَةِ  
الْكَرِيمَةِ الَّتِي تُلِيقُ بِهِ ، وَالَّتِي  
تُنْفَعُ الْقَارِئِ بِالْكَرِيمِ وَتُنْفِدُهُ .

\* اللهم افتحْ بَصِيرَتِهِ ، واجعَلْ  
عَمَلِي هَذَا خَالِصًا لِرَجْهِكَ .  
إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ .

محمد إبراهيم نصر

## دِيْنَ يَهُودِيِّ هَرَبَنَدَ الْكِتَابُ

دفعني أن أكتب عن هذا الصحاحي الجليل ، تلك الخفاوة<sup>\*</sup>  
البالغة التي استقبل بها فيما وقع بين يدي من كتب التراث ،  
فالنبي عليه صلواته يصرح لمعاذ بحبه ، ويقول له إني لأحبك يا معاذ !!  
وأعظم<sup>†</sup> بها من كلمة يقرها النبي عليه صلواته .

— ويقول عنه عليه السلام : نهوا القرآن من أربعة :  
ويذكر معاذاً من بين هؤلاء الأربع .

— ويقول عنه عليه السلام : إن العصماء إذا اجتمعوا يوم  
القيمة كان معاذ بن جبل بين أيديهم قذفة حجر .

— ويقول عنه أيضاً : أعلم أمته بالحلال والحرام معاذ  
بن جبل .

— ويصدقه النبي عليه السلام في قوله : فيقول : صدق  
معاذ ، صدق معاذ ، صدق معاذ .

كَانَ الَّذِينَ يُفْتَنُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ :  
عُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ . وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ هُمْ : أَبُو بَنْ كَعْبٍ ،  
وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابَتَ .

— وقد كتب الرسول ﷺ إلى أهل اليمن حين بعث إليهم معاذاً : إني قد بعثت عليكم من خير أهلي ، وإلي علمهم ،  
وإلي دينهم .

— وقال حاتم الدروري :

النَّهْيُ عَلَمُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَنَةِ نَفْرٍ مِنَ  
الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ :

عُمَرُ بْنُ الْخَطَابِ ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
مُسْعُودٍ وَأَبُو بَنْ كَعْبٍ ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابَتَ .  
فَهُؤُلَاءِ هُمْ طَبَقَةُ الْفَقِهَاءِ .

وقال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو أدركت  
معاذ بن جبل لاستخلفته .

وقال فيه أيضاً : حجزت النساء أن يلدن مثل معاذ بن جبل .  
وكان معاذ مهاباً في قومه ، محباً إليهم .

عن شهير بن حوشب قال :

حدثني رجل أنه دخل مسجد حمص فإذا بحلقة من الناس ،

فيهم رجل آدم<sup>(١)</sup> جميل ، وضاح الشفاب ، وفي القوم من هو أسن منه ، وهم مقبلون عليه يستمعون حديثه .

قال : فسألته من أنت ؟

فقال : أنا معاذ بن جبل .

وعن أبي إدريس الخوارقي قال :

دخلت مسجد دمشق فإذا فتى أبيض ، وضي الوجه ، برأس الشفاب أكحل العينين ، وإذا ناس معه ، إذا اختلفوا في شيء أستدوه إليه ، وصدروا عن رأيه .

فسألت عنه : فقالوا : هنا معاذ بن جبل .

فلما كان من الغد هاجرت فهو جدته قد سبقني بالتهجير ، فوجده بصلبي قال : فانتضره حتى قضى صلاته ، ثم جئته من قبل وجهه فسلحته عليه وقلت له : والله إني لأحبك الله .

فقال معاذ : الله .

فقلت : الله .

فقال : الله .

قال : فأخذ بحربة<sup>(٢)</sup> ردلي فجذبني إليه وقال : أبشر

(١) آدم : أحمر الخلد .

(٢) حربة الرداء : ما يجمع بين صدره وصافيه .

قال الله تبارك وتعالى : وَجِئْتَ رَحْمَةً لِّلْمُتَحَابِينَ فِيْ  
وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيْ ، وَالْمُتَبَذِّلِينَ فِيْ ، وَالْمُتَزَارِعِينَ فِيْ ٠ ٠ ٠

وكان عبد الله بن حمر يقول : حَدَّثُونَا عَنِ الْعَاقِلِينَ  
الْمَالِكِينَ .

قال خالد بن معدان : من هما ؟

قال : معاذ بن جبل ، وأبو الدرداء .

وقال قرة الأشجعي عن ابن مسعود :

إن معاذ بن جبل كان أمة قاتنا لله حيناً ولم يك من  
المشركين . فقلت له : إنما قال الله : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَةً  
قَاتِنًا لِلَّهِ ، فَأَعْدَادَ قَوْلِهِ : إِنَّ مَعَاذًا كَانَ أَمَةً قَاتِنًا لِلَّهِ ... الْآية .

وقال : ما الأمة ؟ وما القاتن ؟ قلت الله ورسوله أعلم .

قال : الأمة الذي يعلمُ الخير ، ويسؤلُهم به ، والقاتن :  
المطیع لله عز وجل وكذلك كان معاذ معلماً للخير ، مطیعاً لله  
عز وجل ورسوله .

٠ ٠ ٠

وقد شهد معاذ مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدرأ ، وأحداً والحنق ،

والمشاهد كلها .

\* \* \*

فكيف بعد هذه الحفاوة البالغة ، و تلك السيرة العطرة ،  
وهذه المكانة العظيمة ، لا أعطرك قلمي بالكتابة عنه ، وقد  
جمع الفضل من أقطاره ، والحسن من جوانبه ؟

كيف والشباب يلتسمون القلوة الصالحة ، وينشدون  
المثلـ الفد الذي يجدد ثقتهم في تاريخهم ، ويعيد إليهم نعطاً من  
السلوك ، يفتح أمامهم الطريق لاستعادة هذا الماضي المجيد ؟

كيف لا أتحدث عن هذه الشخصية الفذة ، وقد روى  
عنـه كبار الصحابة الحديث وأخذوا منه ، لقد روى عنه :  
عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمر ، وأبو قتادة وأنس بن  
مالك ، وأبو أمامة الباهلي ، وأبو ليل الأنصاري ، وغيرـهم  
وروى عنه من التابعين : جنادة بن أبي أمية ، وعبد الرحمن  
ابن ختم ، وأبو إدريس الخولاني ، وأبو مسلم الخولاني ،  
وجير بن نفير ، ومالك بن يخامر وغيرـهم .

وأنـحـم هذه المقدمة في هذا الوقت المتأخر من الليل فأقول  
ما كان يرددـه معاذ في مهجـده :

اللـهم نامت العيون ، وغارـت النجوم ، وأنت حـي قـيـوم  
ـ اللـهم طـلبـي الـجـنة بـطـيء ، وهرـفي مـنـ النـار ضـعـيف .

# النشأة والموسيقى

هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي  
ابن كعب بن عمرو بن أذى بن سعد، أخو سلامة بن سعد.

أمه : هند بنت سهل بن جهينة ثم من بني الربعة .

قيل إنه من قبيلة بني سامة . والصحيح أنه من قبيلة بني  
أذى بن سعد ، وقد جاء هذا المليس لأن بني سلامة ادعوه  
حيث كان أخا لسهل بن محمد .

وأخوه لأمه : عبد الله بن الجد بن قيس من أهل بدر .

وكنيته : أبو عبد الرحمن الأنصاري الخوزجي .

قيل إنه لم يعقب ، والصواب كما ذكرت المراجع المختلفة  
أنه أنجب ولدين أصبحا بالطاعون في عمواس ، وسبقاه إلى  
الدار الآخرة .

وقد أسلم على يد مصعب بن عبد الرحمن وشهد العقبة مع  
الذين أسلموا من الأنصار ، وكان عمره ثمانية عشرة سنة .

## بدایتہ الظرفی

قال عبد الرحمن بن كعب لأبيه :  
يا أبا : ما ذكر إذا سمعت الأذان  
للمجموعة صلیت على أبي أمامة  
أسعد بن زرار ؟ ودعوت له ؟  
قال : أي بنى ؟ كان أسعد بن  
زرارة أول من جمع الناس في  
المدينة لصلوة المجموعة .

كانت يُثرب في ذلك الوقت تضطرب بالفن والقلق ،  
فيَّنَ الأوس والخزرج خصام وعداء ، وبين هؤلاء جميعاً وبين  
اليهود - خصام وعداء ، فلا تثبت فتنة من الفتن تهدأ حتى  
تشتعل الأخرى ، وتهيا لها الأسباب .

وكان اليهود أهل كتاب ، وأهل علم ؟ يعرفون من  
أمور الحياة والدين والمال ما لا يعرفه الآخرون ، وكانوا  
يوقعون العداء بين الأوس والخزرج ويغتinxرون عليهم بأن نبياً  
سيظهر بعد قليل ، وسوف يكون لهم سندأ ومعيناً وسوف  
يتسلكون بنصرته من إفتأهم والتضليل عليهم ...

وكان أهل يُثرب من الأوس والخزرج على الشرك وعبادة  
الأوثان ... ولكنهم لم يخلوا من العقلاه ذوي الرأي والبصر ،  
الذين يطمحون إلى حياة أرقى وأفضل ، ويتطلعون إلى غدٍ  
أعظم وأجمل .

لقد خرج من هؤلاء ستة فرق ذهبوا إلى البيت الحرام  
حجاجين ، وقد أراد الله سبحانه وتعالى بهم الخير ، وهياً على

لهم إلهنا لا إله إلا أنت ربي لا ينفعنـا مـن دـينـا لـهـمـ لاـهـلـ المـدـيـةـ الـدـيـنـ  
تـبـعـوـهـمـ ، وـأـرـشـفـوـاـ مـنـ نـورـ الـإـسـلـامـ الـذـيـ أـهـلـ عـلـيـهـمـ فـانـارـ  
لـهـمـ طـرـيقـ الـحـيـاةـ .

كان هؤلاء التفرّق هم : أَسْعَدُ بْنُ زَرَارَةَ ، وَرَافِعُ بْنُ  
مَالِكَ ، وَقَطْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ حَدِيدَةَ ، وَعَقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ نَابِيَّ ،  
وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَوْفُ بْنُ الْخَارِثَ .

التفى بهم النبي ﷺ ، فقال لهم :

من أنتم ؟

قالوا : تفرّق من الخزرج .

قال عليه السلام : أفلأ تحلسون أكلمكم ؟

قالوا : بلى .

فحلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم  
الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، فأجابوه فيما دعاهم إليه ،  
وقبلوا منه ما عرض عليهم . وقالوا له عليه السلام :

إنما قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ  
مثل ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فستقدم عليهم  
فندعوهم إلى أمرك ، وعرض عليهم الذي أحبناك إليه من  
هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزّ منك .

انصرف هؤلاء التفرّق إلى بلادهم ، فأنصرع إليهم قومهم

مرحبي ، وسائلوهم عن أمرهم ، فذكروا لهم رسول الله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ودعوهם إلى الإسلام ، فلم يبق دار من دور الانصار  
إلا وهي تعلم شيئاً مما حدث . وكان من بين الأسباب التي  
آذنت بانتشار خبر النبي عليه السلام مخالطة أهل المدينة لليهود  
وسماعهم منهم : أن نبأاً سمعته الله قد أطل زمانه ، وقرب  
ظهوره .

\* \* \*

### العقبة الثانية :

لم يكمل العام المقبل بخل على أهل المدينة حتى تأهب من  
الأنصار اثنا عشر رجلاً للذهاب إلى مكة لعلهم يلقون النبي  
محمدًا ، كما لقيه السابقون .

وكان هؤلاء النفر هم : أسعد بن زرار ، وعوف ومعاذ  
ابن الحارث بن رفاعة ، ورافع بن مالك بن العجلان ، وذكوان  
ابن عبد قيس ، وعبادة بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن  
بزيده بن شعبة ، والعباس بن عبادة بن فضلة وعقبة بن عامر ،  
وقطبة بن عامر بن حديدة ، وأبو الطيم بن التبيهان ، وعويم  
ابن ساعدة .

التحق هؤلاء النفر بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واستمعوا إليه ، فامتنأوا  
قلوبهم نوراً ، ونهرهم فيض من البشّر والأمل ، وعادوا

لقد أقبل عليهم أهلهم وذووهم ، وسألوهم عما رأوه  
وشاهدوه ، فقالوا : لقد بآياتنا محمدًا ﷺ على : ألا نشرك  
بالتّه شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا  
نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيتك في  
معروف .

فإن وفينا فلنا الحسنة ، وإن فعلنا من ذلك شيئاً فأمرنا إلى الله  
عز وجل إن شاء عذاب ، وإن شاء غفر .

مصعب بن عمير :

وقد بعث رسول الله ﷺ مع هذا النفر « مصعب بن عمير » وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم  
في الدين ، وقد نزل على أسد بن زراره بن عدس المكنى :  
أبو أمامة .

انطلقت الدعوة إذاً من بيت أسد بن زراره ، فكان  
المسلمون يجتمعون في داره حول مصعب بن عمير ، يصلّي  
بهم ، ويقرئهم القرآن ، ويذعون الناس إلى الاستماع إليه .  
وفي يوم من الأيام اجتمع سعد بن معاذ وأبيه بن حبيب  
وهما يومئذ سيداً قومهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مشركاً  
على دين قومه فلما سمعاً بمصعب بن عمير ، قال سعد بن

معاذ لأبيه بن حضير :

— لا أبالك يا أبيه : انطلق إلى هذا الرجل الذي قد نزل  
دارنا ليسمه ضعفاءنا فاز جره ، وانه عن أن يأتي دارنا :  
فإنه لو لا مكانة أسد بن زراره من حيث قد علمت كفيتك  
ذلك ، فهو ابن خالي ، وأخشى أن أغضبه إذا قدمت عليه .

فأخذ أبيه بن حضير حرته ثم ذهب إلى حيث أسد بن  
زرارة ومصعب بن عمير .

فقال أسد بن زراره لمصعب : هذا أبيه بن حضير  
سيء قوله قد جاءك فاصدق الله فيه ،

قال مصعب : إن مجلس أكلمه .

ولكن أبيه وقف عليهم يشتمهم ويسبهم ويقول لهم :  
— ما الذي دعاكم إلى أن تسفهم ضعفاءنا ، وتعينا ديننا ،  
ونفرقنا كلماتنا ، احترلانا إن بقيتم على ما أنتم عليه .

— قال مصعب : أو تجلس يا أخي فتسمع ، فإن رضيتك  
أمرأ قبلته ، وإن كرهته تركنا ما تكره .

قال أبيه : أنت سمعت .

ثم رکز حرته وجلس إليهم .

فكلمه مصعب بن عمير ، وقرأ عليه القرآن ، ودعاه إلى  
الإسلام ، فما هو إلا أن أمرق وجهه ، وأضاءت نفسه ،

— والله ما أحسن هذا الكلام وأجمله ، كيف تصنعون  
إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟

قال مصعب : عليك أن تخسل فتظهر ، وتطهر  
ثوبك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي لله .

فقام فاغسل ، وطهر ثوبه ، وشهد شهادة الحق ، ثم  
قام فركع ركعتين ثم قال لهما : إن "ورأي رجلاً" إن اتبعكم  
لم يختلف عن دعوتكما أحد من قومه ، وسارسله إليكما  
الآن ، إنه سعد بن معاذ .

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في  
ناديه فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلًا قال : أخلف بالله  
لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم .

فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟

قال : كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأساً ،  
وقد حددت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرار  
ليقتلوه ، وذلك لأنهم قد عرفوا أنه ابن خالتكم ، ليغدروا  
بنعمتك ، ويتقضوا عليهم .

فقام سعد مغضباً يخشى الغدر بابن خالته ، فأخذ الحريمة  
في يده وانطلق مسرعاً ، وهو يقول لأسيد : والله ما أراك  
أغنىت شيئاً .

ولم يخض وقت طوبل حتى كان سعد بن معاذ على رأس الرجالين فوجدهما حاليين معلمتين ، وليس هناك من يز عجهم ، فعرف ما يقصده أسيده بهذه الحيلة ، وأنه أراد أن يسمع منها ، ولكن سعد وقف يسبهما ويتشملا ، ثم وجه حديثه إلى أسعد بن زراره فقال له :

بأبا أمة : والله لو لا ما بيبي وبيتك من القرابة لأصحابك  
نبي مكرود !! كيف تغشاها في دارنا بما نكره !؟

فقال أسعد بن زراره لمصعب : هذا سعد بن معاذ  
سيد قومه إنْ يتبعك لا يختلف عنك من قوله أحد .

قال مصعب لسعد : أوتقدر - يا أخي - فتسمع فإن  
رضيت ما أدعوك إليه ورغبت فيه قبلته ، وإنْ كرهته ورغبت  
عنه تركنا ما تكره ؟

قال سعد : أنا صفت . ثم رکز حربته وجلس يستمع إلى  
مصعب فقرأ عليه مصعب بعضاً من القرآن ، ودعاه إلى  
الإسلام ، فأشرت نفسي وتملّ وجهه . وتسرب الإسلام  
إلى قلبه ، فقال لمصعب :

ما تصنعون إذا أنتم أسلحتم ودخلتم في هذا الدين ؟

قال مصعب : نختسل ، وننتظر ، ونظهر ثباتنا ،  
ثم نقول : نشهد إلا إله إلا الله ، ونشهد أن محمداً رسول  
الله ، ثم نصل ركعتين .

الحق ، دركعن ركته حتى : ثم أخذ حربته ، وانطلق إلى قوته  
في ناديهم فقال لهم :

— يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري بكم ؟

— قالوا : سمعنا ، وأفضلنا رأيا ، وأيمتنا فقيبة .

قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى  
تشهدوا بالله ورسوله .

وأقبل الناس من بني عبد الأشهل ، ومن غيرهم على  
الإسلام فلم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رجال ونساء  
مسلمون .

وكان معاذ بن جبل من بين الذين استمعوا إلى مصعب  
ابن عمير ، ودخل قلبَة الإسلام ، وتهافتَت نفسه لعمل عظيم .

وهكذا كانت دار أسعد بن زرار في المدينة كدار  
عبد الله بن الأرقم في مكة ، انطلقت منها الدعوة إلى الإسلام ،  
وأشعت منها أنواره ، فأقبل عليها الناس ، وكان أول من  
جتمعهم لصلوة الجمعة أبو أمامة أسعد بن زرار .

ولذلك قال عبد الرحمن بن كعب بن مالك : كنت قائدا  
أبي ، كعب بن مالك ، حين ذهب بصره فكنت إذا خرجت  
به إلى الجمعة فسمع الأذان — دعا لأنبياء أمامة . ومكث على  
ذلك حيناً ، فقلت له :

يا أبى : ما ملک إذا سمعت الأذان المجمعة صلیت على أبي  
أمامۃ ؟

قال : أى بني ؓ ; إنہ کان أول من جمع الناس لصلوة  
الجمعة في مكان يسمی لا هرم النبیت من حرّة بني ياخنة .

قال : وكم كنتم يومئذ ؟

قال : كنا أربعين رجالاً .

\* \* \*

كانت هذه بداية الطريق التي قادت معاذ بن جبل إلى  
الإسلام ، وهيأنه ليقوم بدوره العظيم .

## معاذ في العصبة الشائخة

قال معاذ بن جبل :

لقد بايعنا رسول الله ﷺ :  
على السمع والطاعة ، في عسرنا  
وييسرنا ، ومنتھضنا ومکرھنا ،  
وأثرھ علینا ، وألا ننمازع الامر  
أھله ، وأن نقول بالحق أينما  
كنا ، لا تخاف في الله لومة لام .

تاقت نفس معاذ إلى رؤية محمد بن عبد الله نبي الله  
ورسوله بعد أن سمع من اليهود بقرب مبعثه ، ثم جاء مصعب  
ابن عمير فقرأ عليهم قوله لم يسمع بهاته قط ، ثم دعاهم إلى  
الإسلام دين الله الجديد الذي يحبّون تلك الأحسان ، ويدعو إلى  
عبادة الله الواحد الدّيّان لا شريك له .

انطلق معاذ بن جبل مع قومه إلى مكة لحج بيت الله الحرام  
وكان ضمن ثلاثة وسبعين رجلاً وأمرأين من الأوس والخزرج  
قد أسلموا فواعدوا رسول الله عليه السلام التقاء بهم عند العقبة في  
اليوم الثاني من أيام التشريق<sup>(١)</sup> .

فلما فرغ الأوس والخزرج من الحج ، وجاءت الليلة  
الموعودة ، خرج المسلمون من بينهم يتسلّلون مستخفين حتى  
لا يعلم بهم المشركون من قومهم ، وكانت عدّتهم ثلاثة

---

(١) أيام التشريق : هي الأيام الثلاثة عقب عيد الأضحى ، وسميت بهذا  
الاسم لأنّ العرب كانوا يذبحون في يوم عيد النحر ثم يقدّدون  
اللحم في هذه الأيام ، فالتشريق : هو تقديد اللحم .

وأسماء بنت حمورو بن علدي أم متيع<sup>(١)</sup> فاجتمعوا في الشعب .  
وانظروا قدوم رسول الله ﷺ فجاء عليه السلام ومعه عمه  
العباس بن عبد المطلب - وهو يومئذ على دين خواهه - إلا  
أنه أحبَّ أن يتأكَّد من حماياتهم لابن أخيه ، ومناصرتهم له .

— قال العباس بن عبد المطلب حم النبي : يا معشر الخزرج :  
إنَّ مُحَمَّداً مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ ، وَقَدْ مَنَعَنَا مِنْ قَوْمٍ هُوَ  
عَلَى مُثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ ، فَهُوَ فِي عَزٍّ مِنْ قَوْمٍ وَمُنْتَعَةٍ فِي بَلْدَهُ ،  
وَإِنَّهُ قَدْ أَبِي إِلَّا الْأَخْيَازُ لَكُمْ ، وَالْحُوقُ بِكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ  
تَرَوْنَ أَنْكُمْ وَافْغُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ ، وَمَا نَعْوَهُ مِنْ خَالِفَهُ  
فَأَنْتُمْ وَمَا تَحْمِلُمْ مِنْ ذَلِكَ .

وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنْكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَادِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ  
إِلَيْكُمْ فَمِنْ الْآنَ فَدَعُوهُ غَلَانَهُ فِي عَزٍّ وَمُنْتَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلْدَهُ .

فَقَالَ أَحَدُ الْأَنْصَارِ : قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ يَا عَبَّاسُ ، فَتَكَلَّمْ  
يَا رَسُولَ اللَّهِ فَخَذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحِبَّتْ .

(١) كانت من خيرة نساء الأنصار شهدت الحرب مع رسول الله في  
يوم أحد ، وأبلت بلاه حسنا في الدفاع عن رسول الله ، وفُدِضَّ  
ضربيها ابن قبيطة بالسيف على عاتقها فجرحها جراً غائراً .

(٢) في الدرر لابن عبد البر أن المبايعين كانوا سبعين رجلاً وامرأتين ،  
وفي الطبقات الكبرى لابن سعد أنهم كانوا سبعين يزيدون رجلاً  
أو رجلين ، وفي ابن هشام أنهم كانوا ثلاثة وسبعين .

— فتكلم رسول الله ﷺ ، فتلا القرآن : ودعا إلى الله  
عمرٌ وجبل ، ورخبي في الإسلام ثم قال :

— أبايعكم على أن تمحوني بما تمنيوا منه نسألكم وأيتها سكيم .

— فأخذ البراء بن عمر وزميله وقال له : نعم . والذى  
يعلم بالحق نبأه لننهنك مما تخاف منه نسأله ، فبايعنا يا  
رسول الله ، فنحن والله أبناء المحروب ، وأهل الخلة (١)  
ورثاها كابرًا عن كابر .

قال أبو الحبيب بن التيمان : يا رسول الله إنَّ يسنا وبين  
اليمهود عبوداً وإنما قاتلواها ، فهل عصيت إنْ نحن فعلنا ذلك ،  
ثم أظهر لك الله أن ترجع إلى قومك وقد عنا به

— فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدَّمُ الدَّمُ  
والدمُ الخديم ، أنا منكم وأنتم مني أحباب من حاربتم وأسلم  
من سالم .

— ثم قال رسول الله ﷺ : أخرجو إلينا منكم اثنى عشر  
نقيباً ليكونوا كفلاً على قومهم ، وأذا كفبل على قومي .

— فآخرجو من بينهم اثنى عشر نقيباً ، تسعة من المخرج  
وثلاثة من الأوس هم :

— أبو أمامة أسعد بن زرار ، وسعيد بن الربيع بن عمر و

---

(١) الخلة : بفتح اللام وسكونها اسم لصالح كل

ابن هندران ، والبلد الله بن عمه وبن حرام ، وسعده بن عبادة  
ابن دكّيم ، والمنذر بن عمرو بن خنيس ، وعبادة بن الصامت  
فهؤلاء تسعة من الخزرج .

وثلاثة من الأوصيهم : أبيبيد بن حبيب ، وسعده بن  
خبيثة ، ورفاعة بن عبد المنذر .

— قال رسول الله ﷺ للنبياء : أنتم على قوهكم بما فيهم  
كفار ككفار الحوارين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على  
قومي — يعني المسلمين — .

— قالوا : نعم .

— قال العباس بن عبادة بن فضلة الأنباري : يا معشر  
الخزرج ، هل تدرؤن علام تبايعون هذا الرجل ؟  
— قالوا : نعم .

— قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحرار والأسود من  
الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهبت أموركم ، وقتل  
أشرافكم — أسلموه وتخلصوه — فعن الآن فائزوكوه ،  
 فهو — والله — إن فطتم غرزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم  
ترون أنكم وافقون له بما دعوه إليه على نهب أموركم ،  
وقتل أشرافكم — فخذلوه : فهو والله خير الدنيا والآخرة .  
— قالوا : فإنما تبايعه على نهب الأموال ، وقتل الأشراف .

— ثم قالوا : فما لنا من أجر يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك ؟

قال : لكم الجنة .

قالوا : ابسحط يدك علينا .

فبسحط يده فبايعوه .

— ثم قال رسول الله ﷺ : تفرقوا إلى رحالكم .

— فقال له العباس بن عبادة بنى نضلة : والله الذي بعثك بالحق ، إن شئت لنميلن على أهل حق " غداً " بأسناننا .

— قال رسول الله ﷺ : لم نؤمر بذلك ، ولكن أرجعوا إلى رحالكم .

### بداية الاختبار :

علمت قريش بأمر هذه المبادعة ، فثارت نافرتهم ، واغتاظ سفهاؤهم وانطلق عدد كبير منهم وفيهم معاذهم وشرقاوهم — إلى حيث ينزل الخزرج فقاموا : يا عشر الخزرج ، إنه قد يلخصنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستغبونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنك والله ما من حبي من العرب أبغض إلينا أن تشتبه الحرب بیننا وبينهم منكم ،

فقام أحد المشاركون من بيننا ( ولم يكن قد حضر المبادعة )

يحلوا بأمرها فتقال : والله ما كان من هذا شيءٌ وما حلمناه .

فانقضىَ الترشيون ، ونفر المخرج من صبيٍّ متوجهٍ إلى  
پربا ... ولكن قريشاً لم تثبت أن تأكلاه من صدق الخبر ،  
وعلمت أن المبادعة تحت حقاً .

فانطلقَ جميعُ منهم دراءَ هؤلاء الذين خلدوهم وسخروا  
منهم حتى أدركوا سعدَ بن عبادة في مكان يقال له « آذانحر »  
ومعه « المنذر بن حمرو » ، أخوا بني ساعدة بن كعب - وكلاهما  
كان نقيباً .

فأمّا المنذر بن حمرو : فحاورهم ، وأفلت منهم ،  
ولم يستطعوا إدراكه وأمّا سعد فلم يستطع أن ينقذ نفسه من  
أيديهم ، فأخذوه ، فربطوا يده إلى عنقه بسیر من الجلد  
عریض متين ، وجذبوه إلى مكة ، وساقوه أمامهم ، يصر بونه  
تارة ، ويشدُّون شعره تارة أخرى .

قال سعد : فوالله إني لفي أيديهم إذ طمع عليهم نفر من  
قريش ، فيهم رجل وضيّه أبيض ، حسنٌ خفيف ،  
حلوٌ من الرجال ، فقلت في نفسي :

إن يلْكَ عَنِّي أَحَدٌ عنِّي الْقَوْمُ خَيْرٌ فَعَنِّي هَذَا ...

فلما ذاك مني رفع يده فلكمي لعنة شديدة .

فقلت في نفسي : لا والله ما عندهم بعد هذا من خير ،

وبيئنما أنا على هذا الحال من الشدّ ، راجعه ، والملك  
مال إلى رجل من كان معهم فقال لي : وبحكم أبا بيئن وبيئن  
أحد من قريش جوار ولا عهد ؟

قلت : بلى . والله لقد كنت أجير تجارة جبیر بن  
مطھیم بن عدی وأمعن رجاله من أراد ظلمهم ببلادی .  
وكذلك أجرت تجارة الحارث بن حرب بن أمیة بن عبد  
شمس .

قال : وبحكم ، فاختف باسم الرجالين ، واذكر ما بيئن  
وبيئنما .

قال سعد : ففعلت . كما قال لي .

وانطلق هذا الرجل إلى المسجد عند الكعبة فوجد جيروأ  
والحارث بن حرب فقال لهما : إن رجلاً من الخزرج الآن  
يضرب بالأبطح ، ويفتف بكما ويمكر أن بيئن وبيئن كما جواراً .

— قالا : ومن هو ؟

— قال : سعد بن عبادة .

— قالا : صدق والله ، إن كان ليجير لنا تجارتنا ، ويمنع  
رجالنا أن يظلموا ببلده ... ثم انطلقا فخلصا سعداً من أيديهم .

أما معاذ بن جبل : فاستطاع أن يفرّ مع الفارين ، وينجو  
مع الناجين ولم يكدر بصل إلى المدينة حتى راح يدعوه إلى

لِهِ لِيَرْجُوا أَنْ يُسْبِّحُهُمْ مَعَ عَقْلِهِ وَتَفْكِيرِهِ .

### معاذ بن جبل وصنم عمرو بن الجحروج :

انطلق معاذ بن جبل يدعوا إلى الله ، وكان في المدينة بقية من قومهم أكثرهم من الشيوخ - ما ذروا على الشرك ، يعبدون الأوثان ، ويخلصون في عبادتها ، ليست لديهم الشجاعة الكافية في التخلص منها ، والذى كر طا ، فقد استعجمت فيهم العادة ، واستبدلت بهم الأئمة ، واستنكفوا أن يتبعوا شبابهم فيما ذهبوا إليه .

وكان عمرو بن الجحروج شيخاً من هؤلاء الشيوخ ، الذين يحظون بمكانة عالية في قومه ، وكان له صنم قد اتخذه من الخشب الجيد ، يسمى (مناة) ، وكان يحتفظ به في داره ، يعطيه بالعليب ، وينتفخه بالماء ، ويعرضه بالعبادة ، ويقدم له الأدعية والقرابين ، ويستشيره في أمره .

وكان ابنه معاذ بن عمرو من شهد العقبة ، وأسلم مع من أسلم من قومه ، فأشار عليه معاذ بن جبل أن يعملا معاً على تشكيك أبيه في صنمته ، وعلى تحريك عقله ليفكك في أمره .

وكانت هذه الخطوة تقوم على حمل هذا الصنم الجميل من مكانه ليلًا ووضعه على رأسه في مجتمع القاذورات ، حيث

يلقي بعض الناس أقدارهم في حفر أعدوها لذلك ، وتقذى هذه الخطة بليل ، فلما أصبح الصباح ، ذهب عمرو إلى صنته فلم يجده ، فبحث عنه في كل مكان حتى وجده حيث وضعاوه .

ثارت ثائرة الشيخ ، وراح يبحث عن هؤلاء الذين نجروا على إلهه وفعلوا به فعلتهم المنكرة ، ولكنه لم يعرف على أحد ، فأخذ صنته فطهره ، وطبيه ، وحلاه ، ووضعه في مكانه ، واعتذر إليه .

ولكنه قام في الصباح فلم يجده في مكانه ، ووجده حيث ألقى في المرة الأولى ، منكراً على رأسه ، ملطخاً بالأقدار والأوساخ ... وثار ثورته ولكنها لم تف عن شيئاً ، واكتفى بتطهيره ، وتنقية يديه بالطيب .

وتكررت هذه الفعلة به ... فخاطبه عمرو قائلاً :

— أنت إلاه؟ كيف لا تدافع عن نفسك؟ ولم لا تدلني على من فعل بك هذا؟!

ثُم قال له : سأعلق في رقبتك سيفي هذه لتدافع به عن نفسك فإذا جاءك هؤلاء العاشرون ، فاتقض عليهم بهذا السيف ، فإذا لم تفعل فلت براله .

جاء معاذ بن جبل ومعاذ بن عمرو ليلاً فجورداه من سيفه ، ووضعها مكان السيف كلباً ميتاً ، ثم ألقوه في بئر من

لَحْتُ حَمْرَوْعَنْ حَسَنَهُ فَوْجَلَهُ حِبْثَ وَضَحْوَهُ — فَعَلِمَ أَنَّهُ عَلَى  
خَلَالٍ ، وَأَنَّهُ يَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يَغْنِي عَنْ نَفْسِهِ  
شَيْئاً .

وَأَدْرَكَ أَنَّ مَا يَدْعُونَهُ إِلَيْهِ هُوَ الصَّرَابُ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ  
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .  
وَهَذِهِ اسْتِطَاعَةٌ مَعَاذُ وَمَعَاذُ أَنْ يَحْرُكَا فِي الشَّيْخِ عَقْلَهُ  
وَتَفْكِيرِهِ فَأَبْصَرَ الْحَقِيقَةَ ، وَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ ، وَشَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى  
الَّذِي أَنْقَدَهُ مِنَ الْعُمَى وَالْفَسَلَةِ وَقَالَ هَادِهِ حَسَنَهُ :  
وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ  
أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسُقْطَةٌ بِنْرٌ فِي قَرْنَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمَنْ

الْوَاهِبِ الرَّزَاقِ دِيَانِ الدِّينِ

هُوَ الَّذِي أَنْقَلَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ  
أَكُونَ فِي ظُلْمَةٍ قَبْرِ مُرْتَهِنِ

بِأَحْمَدَ الْمَهْدِيِّ النَّبِيِّ الْمُؤْمِنِ

## الرَّحْمَةُ وَالْمُوَاخِذَةُ

قال عمرو بن الخطاب رضي الله عنه :  
لو أدركت معاذ بن جبل فاستخلفته  
فسمالي ربي محمد ، لقلت يا ربى :  
نقد سمعت فبيلا يقول :

إِنَّ الْعَمَاءَ إِذَا اجْتَمَعُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
كَانُوا مَعَاذَ بْنَ جَبَلَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
قَدْ قَدْ قَدْ حَجَرَ ( أي آذه أو فعهم  
مكانة ، وأعلاه لهم منزلة ) .

فرح معاذ بن جبل فرحاً شديداً لإسلام عصرو بن الجموع ،  
وانطلق يدعو إلى الإسلام بين أصحابه ، وبين قومه ، وذويه ،  
ولكن نفسه كانت متعلقة برسول الله ﷺ ، فكان يود أن  
تطوى تلك المسافة بين يرب و مكة ليجد نفسه بين يدي حبيبه  
ومصطفاه ليستمع إلى ذلك الحديث العذب الندي ، وإلى تلك  
الآيات البينات التي كانت تأخذ طريقها في يسر ، وفي قوة من  
فهم رسول الله ﷺ إلى قلب معاذ مباشرة حين بايعه في العقبة مع  
المبايعين .

و دَّ معاذ أن يكون قريباً من رسول الله ﷺ ، ولكنه  
كان يتسطع أن يخباره من أولئك المهاجرين من مكة ، الفارين  
بدينهم وكان يستمع إلى قصص تعذيبهم ، وأضطهادهم ،  
وتضحياتهم العظيمة وإيثارهم دينهم ، وعقيدتهم على كل  
شيء من مال وعقار ، ومتاع ، ولم يكن معاذ يستمع إلى هذه  
القصص المثيرة حتى ينطلق إلى أصحابه ، وقومه وذويه في  
بيوتهم ، وفي أنديتهم ، فيحدثهم عن تلك التضحيات ، ويثير في  
نفوسهم حب التضحية والإيثار ، ويعدُّهم الأمر العظيم .

وبالغرا في اضطهادهم : وبخاصة حين أدركوا أنَّ كثيراً من أهلِ الْيَمْنِ قد بايعوه ، واتبعوه ، فلم يدركوا وسيلة من وسائل التعذيب ، أو لوناً من ألوان الفتنة والابتلاء إلا سلكوه .

فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالخروج إلى المدينة ، والهجرة إليها ، والتحق بأخوانهم من الأنصار ، وقال لهم :

— « إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْرَاجًا ، وَدَارَ أَتَمْنُونَ بَهَا ، فَاخْرُجُوا إِلَيْهِمْ ١ .

فخرجوها جماعة بعد جماعة ، وبقي رسول الله ﷺ بمكة يتضرر أن ياذن له ربِّه في الخروج منها .

ولم يكن أمر الهجرة لأصحاب الرسول ﷺ أمراً سهلاً ميسوراً ، فلم تكن قريش ، ولم تغضض عيونها عن هؤلاء المهاجرين ، ولكنهم نكلوا بهم أشد تحكيل ، وأذوهُم أشد إبلاء ، وكان لكل مهاجر قصة قروي وحدث جديـرُ بأن يـتـلى .

### قصة أم سلمة :

وكان معاذ بن جبل يستمع إلى هذه القصص ، وتلك الأحاديث ، فيزداد إيماناً ، ويتقد حماسة ، وينطلق إلى قومه ،

وذريه ، وأصحابه ، فيروي هذه الأحداث ، ويقص عليهم تلك الأنباء ، ويشعل في نفوسهم روح التضليل والفساد ، وكان معاذ محدثاً بارعاً ، يعرف كيف يجعل الخبر مثيراً ومؤثراً ، وكان من بين الفحص الذي تحدث عنها ، قصة أم سلمة وأبنتها ، وزوجها .

— قال معاذ : أما سمعت قصبة تلك المهاجرة في سبيل الله ، كيف تعرض لها قوم من قريش ، حتى بلغ من قسوتهم أن فرقوا بينها وبين زوجها ، بل أثems تحدوا في الغلطة والقسوة حتى تجاذبوا ولدها ، كل جماعة تجذبه من ناحية حتى انفصل عنه ذراعه .

— قال أحد الأنصار : من هذه المرأة يا معاذ ؟ وما قصتها ؟ أخذنا عن ذلك من بداية الأمر إلى منتها ، لا ترك صغيرة من الأحداث ولا كبيرة إلا رويتها ، فإنما في شوقي وخلفه معرفة ما تعرض له إخواننا في الله .

قال معاذ : هذه المرأة المسلمة هي أم سلمة وأبنتها سلمة .

فقد عزم زوجها عبد الله أبو صالح بن حميد الأسد بن هلال ابن عبد الله على الهجرة إلى بلادنا يترقب ، فراراً بيديه ، وزوجته ولوالده من أصدقها قريش وإذائهم ، فحمل زوجته ولوالده على بعيره ثم مخرج بهما يعود البعير تاركاً وراءه داره ، وعقاره ، وبقية أهله من ذريه وقرباته ، فلما رأته رجالبني المغيره بن

هذا السكّ هل علّبنا عليها ، فكيف تأخذ صاحبتك هذه معك  
تسيّر بها في البلاد ؟ والله لا نتركها لك أبداً .

ثم نزعوا خطام البعير من يده فلخلوه منه ، وعادوا أيام  
سلمة وأبنها فلما علمت بذلك بنو عبد الأسد رهط أبي  
سلمة ؛ أخذتهم العزة بالإثم ، فانطلقوا إلى أم سلمة ،  
وقالوا لها :

— ما دام قومك قد فعلوا ذلك ، وحالوا بينك وبين زوجك  
فهو الله لا نترك ابنتنا عندك . ثم حذبوا منها ابنها ، فانطلق جماعة  
من قومها ، وحذبوا الطفل من يده الأخرى ، ولم يتركوه حتى  
خلعت يده من جسمه فانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبس بنو  
المغيرة أم سلمة عندهم ، فظلت تخرج كل يوم إلى بطحاء مكة  
تبكي وتتألم حتى أمضت على ذلك الحال ما يقرب من عام ،  
فسر بها رجل من بي عمه فرحمها ، وذهب إلى قومه من بي  
المغيرة وقال لهم :

ألا نتركون هذه المسكينة التي ملأت بطحاء مكة بكاء  
ودموعاً تلحق بزوجها ، وبكتفيها ما فعلتم أمامها بولدها ؟

فأذن لها قومها أن تذهب حيث شاء ، وحيث ردّ لها بنو  
عبد الأسد ولدها سلمة ، فركبت بعيرها ، وأخذت ولدها في  
حجرها ، وانطلقت صوب بلدنا هذه .. وظلت تسيّر وحيدة  
فريدة هي ولدها ، لا رفيق لها إلا إيمانها ، ولا عزاء لها إلا

رغبتها في إدراك زوجها سالمة بديتها .. فلما بلغت مكاناً يسمى  
التَّنْبِيمٌ مَرَّ بِهَا رَجُلٌ اسْمُهُ عَشْمَانٌ بْنُ طَلْحَةَ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ  
لَهَا : إِنِّي أَنْبَأْتُكِي بِأَنِّي أُمِّيَّةٌ ؟

قَالَتْ : أَرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ .

قَالَ : أُوْمَّا مَعَكَ أَحَدٌ ؟

قَالَتْ : لَا . وَإِنَّمَا ، إِلَّا اللَّهُ وَبُنْيَ هَذَا .

قَالَ لَهَا : وَاللَّهِ لَا أَتُرْكُكَ حَتَّى تَصْلِيَنِي إِلَى زَوْجِكَ سَالْمَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَانْطَلَقَ بِهَا الرَّجُلُ يَأْخُذُ بِخَطَامِ بَعِيرِهَا يَقْطَعُ الْفَفَارَ  
وَالصَّحَارِيَ حَتَّى إِذَا تَعْتَ وَتَعْبُ بَعِيرُهَا أَنْاقَبَ الْبَعِيرُ ثُمَّ يَسْتَأْخِرُ  
عَنْهَا حَتَّى تَنْزَلُ ثُمَّ يَعُودُ فِي أَخْذِ الْبَعِيرِ ، فَيَسْقِبُهُ وَيَطْعُمُهُ ، وَيَصْلِحُ  
أَمْرَهُ ، ثُمَّ يَقْيِدُهُ فِي شَجَرَةٍ ، ثُمَّ يَقْضِي لَهَا بَعْضَ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ،  
ثُمَّ يَتَعَدُّ عَنْهَا حَتَّى تَسْرِيعَ ، وَيَسْرِيعُ هُوَ تَحْتَ شَجَرَةَ أُخْرَى  
بَعِيدَةَ ، فَإِذَا دَنَا وَقْتُ الْذَّهَابِ دَنَا بِالْبَعِيرِ فَقَدَّمَهُ إِلَيْهَا ثُمَّ يَسْتَأْخِرُ  
حَتَّى تَرْكَبَ . فَإِذَا رَكِبَتْ وَاسْتَوَتْ أَخْذَ بِزَمامِ الْبَعِيرِ ،  
وَانْطَلَقَ بِهِ .

وَظَلَّ عَلَى هَذَا الْحَذَازِ حَتَّى يَلْغُ الْمَدِينَةَ ، فَلَمَّا يَلْغُ قُرْيَةَ بْنِي  
عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ بِقِبَاءَ قَالَ لَهَا : زَوْجِكَ فِي هَذِهِ الْقُرْيَةِ ، فَادْخُلِيهَا  
عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . ثُمَّ انْهَرَ فَرَّ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ .

فَلَمَّا أَتَمْ مَعَاذَ حَدِيثَهُ عَنْ أُمِّ سَالْمَةَ قَالَ الْقَوْمُ : يَا لَهَا مِنْ

يسوّع لنا الطعام والشراب ، وإنحراتنا يتصرّخون بهذه الشذائـل  
وتنكـت المـحن ؟ !

\* \* \*

عيـاش بن أبي زـبيـعة المـخـزـومـي :

قال معاذ بن جبل : وهل تظـنـون أـنـ قـرـيشـاً وـقـفـاً أـذـاهـاـعـندـ  
هـذـاـ الـحـدـ ؟ لاـ وـأـنـهـ : لـقـدـ تـجـاـزـتـ حـدـودـهـ : وـبـلـغـ إـصـرـارـهـ  
في مـقاـوـمـةـ الإـسـلـامـ إـلـىـ الـحـدـ الـذـيـ يـخـطـفـونـ فـيـ الـمـسـلـمـينـ مـنـ بـلـدـنـاـ  
هـذـهـ . . . أـوـمـاـ سـمـعـمـ بـقـصـةـ عـيـاشـ بـنـ أـبـيـ زـبـيـعةـ الـمـخـزـومـيـ ؟

ـ غـضـبـ الـقـوـمـ : وـنـزـلتـ كـامـاتـ مـعـاذـ عـلـىـ قـلـوبـهـمـ كـطـعنـ  
الـخـاجـرـ ، وـقـالـوـاـنـيـ أـسـيـ يـمـتـرـجـ بـالـفـوـةـ وـإـصـرـارـ :

ـ حـدـثـنـاـ يـاـ مـعـاذـ مـاـذـ جـرـىـ لـعـيـاشـ ، إـنـاـ نـعـلـمـ أـنـهـ قـدـمـ إـلـىـ  
بـلـدـنـاـ فـيـ صـحـبـةـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ .

قال معاذ : نـعـمـ . لـقـدـ صـحـبـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ فـيـ هـجـرـنـهـ  
إـلـيـنـاـ هـنـاـ - فـيـ الـمـدـيـنـةـ - فـلـمـاـ قـدـمـاـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ نـزـلـاـ مـحـاـنـاـ فـيـ بـنـيـ  
عـمـرـ وـبـنـ عـوـفـ بـقـيـاءـ ، وـلـكـنـهـ خـرـجـ فـيـ أـثـرـهـمـاـ أـبـوـ جـهـلـ بـنـ  
هـشـامـ ، وـالـخـارـثـ بـنـ هـشـامـ ، وـكـانـ يـقـصـدـانـ الـعـودـةـ لـعـيـاشـ ،  
إـذـ لـأـقـبـلـهـمـ بـعـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ .

وـكـانـ عـيـاشـ بـنـ عـصـمـهـ ، وـأـخـاهـمـاـ لـأـمـهـمـاـ . فـاحـتـالـاـ

عليه ، قال له : عُذْ معاشر يا عياش بِرَّاً بأمرك التي يكاد قلبها  
يتفتت حزناً عليك ، فقد ندرت ألا يمس رأسها هشّط حتى  
ترالث ، وألا تستظل من وهج الشمس حتى ترالث .

فرق لأمه ، ولم يستمع إلى نصيحة عمر بن الخطاب .

— قال أحد المستمعين : وبماذا نصحه عمر بن الخطاب ؟

— قال له : لا تستمع إليهما يا عياش ، فقد أرادا فتنتك عن  
دينك فاصدر هما فو الله لو قد آذى أملك القمل لاستশطته ، ولو  
اشتد عليها الحر لاستظملت .

— ولكن عياشاً ، خشي على أمه ، وصل توهمها فيما قال ،  
ورغب أن يذهب ليحصل على ماله الذي تركه في مكة .

فلم يسمع عياش نصيحة عمر ، وأصر على العودة مع  
أخويه ، ليقتل أمه ويعود مرة ثانية بذلك .

فأخطأه عمر بن الخطاب فاقته ، وقال له :

— إن زاغتي هذه ذلول نجيبة ، عليك أن تلزم ظهرها ، فإن  
أحسست من أخويك الغار بك ، فانزع عنها .

— فلما خرجوا جميعاً ، وقطعوا بعض الطريق قال له أبو

جهل :

تعقبني على ناقتك هذه فتركب بعض الوقت ، وأركب أنا الآخر  
بعض الوقت ؟

— قال عياش : بلى ، لا مانع لدى .

فلمما نزل عياش عن ناقته عَدَوا عليه ، فأوثقاه رباطاً ،  
وقدما يديه ثم دخلا به مكة وهو موثق ، فقالا لأهل مكة :  
هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفهينا هذا ..

وقد حُبس عياش بن ربيعة ، ومعه هشام بن العاصي في  
بيت في مكة لا سقف له ، وظلا محبوبين حتى هاجر النبي  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ إلى المدينة فسمعه الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول : « من لي  
عياش بن أبي ربيعة ، و هشام بن العاصي » ؟ !

لقد نزل بشأنهما عفو من الله — وكان قوم يقولون في  
حدهما — لن يقبل الله منها حرفاً ولا عدلاً ولا توبة — قوم  
عرفوا الله ، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصحابهم .

لقد نزل فيهم قول الله تعالى : « قُلْ يَا عِبَادِي الَّذِينَ  
أَسْرَفُوا عَلَيْنِي أَنفُسَهُمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ  
يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنِيبُوا إِلَى  
رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ  
بَعْثَةً ، وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ » (١) .

---

(١) سورة الزمر : ٥٣ - ٥٥ .

فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة — حين سمع رغبة الرسول  
عليه السلام في إنقاذ عياش : أنا أستطيع يا رسول الله أن أقوم بمهمة  
إنقاذه ، وإحضاره إلىك .

— فأذن له رسول الله عليه السلام أن يفعل .

— فانطلق الوليد إلى مكة مستخفياً ، وظل يتحسن الطريق  
إلى عياش حتى رأى امرأة تحمل طعاماً ، فقال لها : أين تذهبين  
بهذا الطعام يا أمة الله ؟ قالت : أريد به هذين المحبوسين  
تعنيهما — فتبعدها حتى عرف موظعيهما ، فلما كان الليل تصور  
البيت ونزل داخل الدار — فوجد كليهما مقيداً ، فأخذ حجارة  
دقيقة فوضعها تحت قيدهما ثم ضرب القيد بسيفه فقطعهما ،  
ثم حملهما على بعيره وساق بهما ، فعثر في الطريق فدميت  
إصبعه فقال لها :

هل أنت إلا أاصبَعْ دميستِ وفي سبِيلِ الله ما لقيتِ  
ثم قدم بهما على رسول الله في المدينة .

• • \*

صَهْبَهُ بْنُ سِنَانَ :

لقد كانت قصص التعذيب التي تعرض لها المهاجرون من  
مكة تروى في كل مكان فترى المسلمين في المدينة إصراراً على

وَلَمْ يَرُوكُمْ مَا لَفِظَتُ لِي لِهُمْ ! وَرَبِّكُمْ ذَلِكُمْ فِي الصَّحِيفَةِ  
وَالإِبْشَارِ .

وكان معاذ بن جبل راوية صادقاً يستمع إليه نوحه ،  
وندوه ، ويعجبون بحديثه ، وقوته بيانه ، وقدرته على  
التأثير .

قال نوحه ذات يوم : ألم علمتم ما تعرض له صحيبُ بن  
ستان حين عزم على الهجرة ؟

— قالوا له : فُصِّ عَلَيْنَا تَحْسِنَةٌ ، وَارْوَلَنَا بَلَاءٌ وَمُحْنَةٌ .

قال معاذ : حين عزم صحيب على الهجرة تعرض له كفار  
قرىش وقالوا له : أتَيْنَا صَلْوَكَ حَقِيرًا فَكَثُرَ مَا لَدَنَا .  
ربّلطف الذي بلغت ثم ترید أن تخرج بما لك ونفسك ؟ ! ، والله  
لا يكون ذلك .

فقال لهم صحيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتحلّون  
صَلِيلِي ؟

قالوا : نعم .

قال : فإني جعلت لكم مالي فخذلوه .

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : رب صحيب ؟ رب  
صحيب ؟ !

قال معاذ بن جبل : أرأيتم ما معشر الأنصار هذه التضحيات

في سبيل الله !! لتنا نُمتحنَّ كما امْتُحِنُّوا ، ونُنْهَى حِيَ في سَبِيلِ  
الله كَمَا خَسَحُوا ، حَتَّى يَتَضَاعِفَ لَنَا الْأَجْرُ مِنَ اللَّهِ ، وَتَكْتَبَ لَنَا  
الْمَغْفِرَةَ . وَيَنْزَلُ فِي حَقِّنَا قُرْآنٌ كَمَا نَزَلَ فِي حَقِّ صَهْيَبٍ قُرْآنٌ ..  
هُلْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ نَزَلَ فِي شَأْنَهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : « وَهُنَّ النَّاسُ  
مَنْ يَتَشَرَّى نَفْسَهُ أَبْتَغَاهُ مَرْضَاهُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ  
بِالْعِبَادِ » (١) .

وَهَكُذَا سَارَ مَعَاذُ بْنُ جَبَلَ يَرْوِي قَصْصَ الْمَهَاجِرَيْنَ ،  
الْعَصَابَيْرَيْنَ ، حَتَّى قَرَأَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ اللَّهَ سَبِيعَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَذْنَ  
لِنَبِيِّهِ بِالْهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَأَنَّ هِجْرَتَهُ قَدْ أَحْبَطَتْ  
بِالسَّرِيرَةِ وَالْكَعْمَانِ ، وَأَنَّ حَذَايَةَ اللَّهِ وَرِعَايَتِهِ أَحْاطَتْ رَسُولَهُ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمْ يَفْلُحْ تَدْبِيرُ الْمُشَرِّكِيْنَ ، وَلَمْ يَجْدُهُمْ مُكْرَهِمْ وَلَمْ  
يُسْتَطِعُوْا إِثْنَاءَهُ عَنِ الْهِجْرَةِ ، كَمَا لَمْ يَتَسْكُنُوا مِنْ قَتْلَهُ : وَقَدْ  
فَضَحَّاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَكَشَفَ لِنَبِيِّهِ مُكْرَهِمْ فَقَالَ تَعَالَى : « وَإِذْ  
يُمْكِرُ بِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَخْرُجُوكُمْ  
وَيُمْكِرُونَ ، وَيُمْكِرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِيْنَ » (٢) .

\* \* \*

التَّشَرُّ في الْمَدِينَةِ خَبَرُ خَرْوَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ فَوْقَ هَذَا  
الْخَبَرِ فِي نَفْسِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ مَوْلَى الْمَهَاجِرَيْنَ مَوْلَى الْعَصَابَيْرَيْنَ مَوْلَى  
الْمَهَاجِرَيْنَ ، وَأَصْنَاعَتْ نَفْسَهُ ، وَدَلَّلَ الْمُرْسُورَ قَلْبَهُ ، وَخَرْوَجَ مَعَ الْقَوْمِ

(١) سورة البقرة : ٤٠٧ .

(٢) سورة الأنفال : ٣٠ .

معاذ إلى الأفق البعيد ، و مد يصحره لعله يكتشف أثراً ، أو يلمع خيلاً ، ولكن النهار قد انقضى ، ولم يظهر في الأفق شيء فعاد معاذ إلى داره ، وهو يخشى على النبي عليه السلام ، ويردّ لو يطوي الزمان والمكان ليتعم ببرؤية الرسول الحبيب .

وصرّت الأيام بطيئة ، وفي كل يوم يخرج معاذ وأصحابه فينتظرون ما شاء لهم الانتظار ، تلسعهم الشمس المحرقة بسياطها ، وينال منهم الجهد والقلق والانتظار حتى أذن الله لنبيه ، وظهرت طلائع البشر والنور فدوّي صوت معاذ يعلن لها قدوم النبي وأصحابه ، ويزف البشرى إلى قومه ، ويردد الأناشيد بقدمه .. حتى كان النبي عليه السلام على قيد خطوات منهم ، ولكنه لم ينزل عن ناقته ، وقال لأصحابه : انزكوها تنزل حيث شاء فإنها مأمورة ، وكانت ناقته كلما مررت بديار قبيلة من القبائل اعترضوا طريقها ليتشرّفوا بجوار النبي عليه السلام ، ولكن النبي يأمرهم أن يخلوا سبيلها ، وكان معاذ بن جبل قد اعترض طريقها عندما مررت بداره ، ولكنه أطاع أمر الرسول عليه السلام ، وتركها ، وظللت الناقة تأخذ طريقها حتى بلغت دار مالك بن النجار ، فبركت على باب مسجده عليه السلام وكان يومئذ مكاناً خالياً لقلامين يتيمين من بيبي النجار ، وكان يلي أمرهما معاذ بن عفراء ، فلما بركت الناقة ، نهضت من جديده ، وطلعت تروح وتتجي حتى عجنت مكانها ، وأناحت بكلكلها ، فنزل رسول الله عليه السلام عنها ، وعوضت اليتيمين عن أرضهما ، وأمر

أن يبني مسجده في هذا المكان ، وسارع المهاجرون والأنصار  
يعملون في بناء المسجد ، وانطلق النبي عليه السلام يحمل بيده  
معهم ، حتى أثار ذلك نشاط المهاجرين والأنصار جميعاً فراح  
أحدthem يقول :

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ<sup>\*</sup> لَذَلِكَ مِنَ الْعَمَلِ الْمُضْلَلِ<sup>\*</sup>  
وَارْجِزْ الْمُسْلِمُونَ :

لَا يَعِيشُ إِلَّا عِيشَ الْآخِرَةِ اللَّهُمَّ ارْحُمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ  
وَارْجِزْ عَلَيْنِ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

لَا يَسْتَوِي مَنْ يَعْصِرُ الْمَسَاجِدَ  
وَمَنْ يُسْرِىٰ عَنِ الْغَيَارِ حَادِداً  
وَأَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ أَبِي أَبْوَبٍ حَتَّىٰ بَنَ لَهُ مَسْجِدًا  
وَمَسْكَنَهُ .

\* \* \*

لم يفارق معاذ بن جبل رسول الله ﷺ ، عمل بجد في بناء  
مسجدـه ، واجتهد في أن يستمع إليه ، ويحفظ كل آية تنزل عليه  
حتـى صار حجة يرجع إليه في توثيق آيات القرآن ، واستحق  
 بذلك أن يقول فيه النبي ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمر :  
 « خذـوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وأبي بن  
 كعب ، ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة » .

وَلَلْ حَمَّةُ لِنَبِيِّنَا لَوْ يَخْرُقُهُ غُلَامٌ فَلَمْ يَفْعَلْ ،  
وَيَسْكُنُ فِي حَيَاتِهِ كَمَا يَسْكُنُ ، وَإِنَّهُ لَيُجْدِدُ فِي ذَلِكَ مَعَاذَةً وَمَتْعَةً لِأَنَّهُ  
يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ كَلَمَهُ مِنْ عَنْدِ اللَّهِ وَشَاعَ ذَلِكَ عَنْهُ حَتَّىٰ إِنَّهُ كَانَ  
يَصْلِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَدْهَبُ إِلَى قَوْمِهِ فَيَصْلِي بَعْدَ مَرَةً ثَانِيَةً —  
هَذَا حَدَثٌ شُرُبَةٌ عَنْ حَبِيبٍ عَنْ ذَكْرِ قُوَّانِ .

\* \* \*

### المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار :

كَانَ الْأَنْصَارُ مُهَبِّيَنَ لِلْبَذْلِ وَالْتَّضْحِيَةِ بَعْدَ الَّذِي رَأَوْهُ مِنْ  
إِخْرَاجِ الْمَهَاجِرِينَ الَّذِينَ تَرَكُوا دِيَارَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ ، وَأَهْلَهُمْ ،  
وَآتَرُوا الْفَرَارَ بِدِينِهِمْ ، وَبِضَحْيَةِ نَبِيِّهِمْ .

وَكَانَ مَعَاذُ بْنُ جَبَلَ وَأَمْثَالَهُ قَدْ أَخْبَرُوا مُشَاعِرَ الْأَنْصَارِ ،  
وَمَلَأُوا قُلُوبَهُمْ حُمَاسَةً وَاسْتَعْدَادًا لِلْبَذْلِ وَالْتَّضْحِيَةِ كُلَّمَا قَصُّوا  
عَلَيْهِمْ شَيْئاً مِنْ تَضْحِيَاتِ الْمَهَاجِرِينَ الْبَالِغَةِ .

فَلَمَّا دَعَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مُؤَاخِدَةِ الْمَهَاجِرِينَ عَلَى أَنْ يَوَاسِي  
كُلَّ أَخٍ مِنَ الْأَنْصَارِ أَخَاهُ مِنَ الْمَهَاجِرِينَ . يَسْأَلُهُ فِي السَّرَّاءِ  
وَالصَّرَاءِ ، وَيَبَذِلُ كُلَّ مِنْهُمَا مَا لَهُ وَجْهَهُ فِي سَبِيلِ أَخِيهِ ، فَإِذَا  
مَاتَ أَحَدُ الْأَخْرَى وَرَثَهُ الْآخَرُ سَعَدُ الْأَنْصَارِ وَالْمَهَاجِرِينَ بِهَذِهِ  
الْمُؤَاخِدَةِ ، وَأَسْرَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَوْسِعُ لِأَخِيهِ الْمَهَاجِرِ

في داره . وفي ماله . وفي كل ما يملكونه ، حتى إن بعضهم  
اقسم مع أخيه داره فجعلها قسمين ، للمهاجر النصف : وله  
النصف بل إن بعضهم طلق إحدى زوجتيه ليتزوجها آخره  
المهاجر ...

لقد كانت أعظم مؤاخاة ثبتت في التاريخ ، لم يحدث مثلها  
حتى يومنا هذا أدت هذه المؤاخاة دورها في إصلاح حال كل  
من المهاجرين والأنصار ، وهيأت المهاجرين لاستثمار دورهم  
في الحياة ، فبذلوا جهودهم في العمل والتجارة والمعي في  
دروب الحياة المتشعبة ، وسوف يظل التاريخ يذكر هذه المؤاخاة  
كنموذج رائع للتعاون ، والتضحيه والإيثار في سبيل المبدأ والعقيدة .

وقد آتى الرسول ﷺ بين معاذ بن جبل ، وبين جعفر بن  
أبي طالب الذي لقبه النبي ﷺ بذري الجناحين العظيم في الجنة ،  
وذلك حين قطعت ذراعاه يوم مؤة ، فقال النبي ﷺ : « إن  
الله أبدله بهما ذراعين طار بهما إلى الجنة » .

وذكر أن المؤاخاة لم تكن بين جعفر وبين معاذ ، لأن  
جعفر بن أبي طالب كان مهاجراً إلى الحبشة عندها ثبتت هذه  
المؤاخاة ، وحصل بها صبع سنين ، أنجبت له امرأته أسماء بنت  
عيسى بن النعمان في هذه الهجرة : ابنة عبد الله بن جعفر فلم  
يكن لهذه المؤاخاة أثر في حياة كل منها .

والراجح أن النبي ﷺ قد آتى بين معاذ بن جبل وعبد الله  
ابن مسعود . وقد أدت هذه المؤاخاة إلى صنع كل منها في

بُشِّرَ يَهُودُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُعَا إِلَى الْحَدِّ الْعِرْقَانِ عَنْهُمَا .

ظلت هذه المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار التي سجلتها القرآن الكريم في سورة الأنفال في قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ وَهَا جَئْنَاهُمْ وَجَاهُهُمْ وَأَبْعَثْنَاهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آتَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ » (١) .

حيى أدىت هذه المؤاخاة هدفها ، وتحقق التعاون الحق بين المهاجرين والأنصار .

فلاما كان يوم أحد أصيَّب كعب بن مالك بجراج ، وكان الرسول قد آتى بينه وبين الزبير بن العوام ، فقال الزبير بن العوام : لو مات كعب ورثه . فنزل قول الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ أُولَئِي بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأَوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أُولَئِي بِسْعَضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَقْعُلُوا إِلَى أُولَائِكُمْ مَتَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا » (٢) .

وكذلك قوله تعالى في سورة الأنفال : « وَأَوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أُولَئِي بِسْعَضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ

(١) سورة الأنفال : ٧٢ .

(٢) سورة الأحزاب : ٩ .

شَيْءٌ عَلِيمٌ » (١) .

فردت هذه الآيات المواريث إلى الأرحام ، والقرابات ،  
وانقطع الميراث بين المهاجرين والأنصار ، ولتكن بقى التراحم ،  
والتعاطف ، والتواده ، وبقى ما بين معاذ بن جبل وعبد الله بن  
مسعود من الود ، والإخاء ، والتعاون والتضحية على ما كان  
عليه ، وأشدّ مما كان عليه .

---

(١) سورة الأنفال : ٧٥ .

## معاذ الجبار

قال أبو نعيم في الخلية :

معنى إمام الفقهاء ، وكتنر العلماء  
شهيد العقبة ، وبدرأ ، والشاهد  
وكان من أفضل شباب الانصار  
حليماً وحيلاً ، وبمحاه .

بعد هذه المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار استتبَّ الأمان في المدينة ونسى الأوس والخزرج ما كان بيتهما من أحقاد ، ووضعت الحرب أوزارها بين القبيلتين إلى الأبد ، واتجهت مywهم وذراعتهم إلى الدين الجديد ، يتسبّقون في حفظ آيات القرآن الكريم التي تنزل على النبي الأمين ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، والذي بدأ مجتمع المدينة المتنافر المتعابغض الذي كان يدب فيه الخسام والقتال إلى مجتمع الأمن والظهور والسلام ، لقد أصبح الأوس والخزرج إخواناً متحابين ، لم يعودوا يصغون إلى نذر الشر ، وأرباب الفتنة من اليهود ، الذين كانوا يلقون بهم العداوة والبغضاء ، والذين كانوا حر يصعب عليهم أن يسعوا بهم بالفساد .. لقد انكشف أمرهم ، ونزل الوحي على محمد عليهما السلام بأخبارهم كلما أرادوا كيداً للمسلمين ، فحملواهم المسلمين ، ولم يطمئنوا إليهم ، وبخاصة لأنهم أخفوا حقيقة النبي عليهما السلام التي بشرت بها التوراة .

لقد ذهب معاذ بن جبل إلى نصر من أصحاب اليهود ومعه بعض أصحابه فسألوهم عن بعض ما في التوراة من حدثٍ عن النبي

فَالْمُظْلِمُونَ الظَّاهِرُوْنَ لِلْعِلْمِ فِي الْأَوَّلِ يُكْبِرُوْنَ ثُمَّ يَعْلَمُوْنَ فَإِذَا أَرَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَيْهُ  
قُولَهُ تَحْمِلُ : إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْأُذْنَى  
مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَتَعَذَّرُهُمْ  
عَلَيْهِمُ الْأَعْصَمُونَ ١٠ )

يرغب حرص الرسول عليه على أن يوفر الأمن والطمأنينة في المجتمع البدوي فبعد أن أرسى الألفة والمودة بين الأوس والخزرج ، وبعد هذه المواجهة التي أقامها بين المهاجرين والأنصار — عقد معايدة بينه وبين يهود المدينة حتى يبعث في قلوبهم الأمان والطمأنينة ، فيكفروا عن مؤامراتهم ، ويقلعوا عن عاداتهم في السعي بالصرفة والواقعية بين المسلمين .. وقد وقعوا بهذه المعايدة ، والتزموا بتنفيذ نصوصها . كما التزم المسلمون — وكانت في رسالتهم أن يعيشوا سعداء آمنين في هذا المجتمع الذي ترفرف عليه راية العدل ، والسلام والأمن والاطمئنان ، ولكن طبيعتهم في الدين والواقعية لم تفارقهم . فأغም النبي عليه عذبهم حينما حذر حدث منهم في مستقبل الأيام ما دعا النبي عليه ألا يقع لهم ، ويستأصل شأفتهم بعد خروجة الأحزاب .

• • \*

لَمْ يَنْسِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّعْذِيبَ النَّفْسِيَّ وَالجَسَادِيَّ الَّذِي حَلَّ  
بِالْمُسْلِمِينَ ، كَمَا لَمْ يَنْسِ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ . فَقَدْ اضطهدُوهُمْ

(١) سورة البقرة : ١٥٩ .

قريش ، وعذّبتهم لتفتنهم عن دينهم ، ونحوهم من بلادهم : فكانوا بين مفتون في دينه ، وبين محذّب في أديانهم ، وبين هارب في البلاد فراراً منهم بأرض الحبشة ، وال مدینة ، وفي كل وجه - فلما عتت قريش على الله عزّ وجلّ ، ورددوا عليه ما أرادهم به من الكراهة ، وكذّبوا نبيه عليه عليه ، وعذّبوا ، ونفوا من عبادته ووحدته ، وصدق نبيه واعتذر لهم بذلك أذن الله عزّ وجلّ لرسوله عليه في القتال والانتصاف ، من ظلمهم ، وبغي عليهم ، فكانت أول آية نزلت في إباحة القتال قول الله تعالى : «أذن لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ، وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِعَضَّهُمْ بِعَضٍ لَهُمْ سَاءَ حِسَابٌ وَبَيْعٌ ، وَحَسَّلَوْاتٌ ، وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ، وَلَيَسْتَهِنْنَ اللَّهُ مِنْ يَسْتَهِنْهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ إِنَّمَّا أَمَارُوا الصَّلَاةَ ، وَأَنْوَأُوا الزَّكَاةَ ، وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ »<sup>(١)</sup> .

كانت هذه أول الآيات التي أذنت النبي عليه في قتال المشركين الذين حاولوا فتنة المسلمين عن دينهم ، وأذوهـم هذا

(١) سورة الحج : ٣٩ - ٤١ .

ولم يقف أذى قريش عن المسلمين بعد هجرة النبي ﷺ وأصحابه ، وبذلوا كل جهد في إلحاق الأذى بالنبي وقومه .. ولذلك كان لا بد من مواجهة القراء بالقوة ، وتقديم أطافر الشرك ، فلما استقر مجتمع المدينة فكر النبي ﷺ في التعرض لتجارة قريش الذهابية إلى الشام ، وأعد المسلمين للحرب والقتال ، ففي هذه الفترة من هجرته ﷺ إلى عزوة بدر - وكانت قرابة تسع عشر شهراً هيأ نفوس أصحابه للحرب والقتال ، وأرسل دوريات عسكرية لاستكشاف الأمكانية المحتملة بالمدينة ، والتعرف على الطريق المحيطة بها ، و المسالك التي تسير فيها المروافل الذهابية إلى مكة والعائد منها ، كما حرص النبي ﷺ على موادعة القبائل المحيطة بالمدينة وعقد المعاهدات معهم .. وقبيل صرفة بدر بقليل أرسل النبي عليه السلام بعثة استطلاعية بقيادة عبد الله بن جحش ، في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة ، وأمرها أن تتحسن أخبار قريش ، ونثر صد لذلک بين مكة والطائف ، ولم يأمرهم بالقتال .

وفي مكان يقال له « نخلة » التفت هذه البعثة بقافلة لقريش تحمل بضائع إلى مكة فأوسمت بها بعد أن قتلت أحد رجالها وهو « عمرو بن الحضرمي » وأسرت اثنين منهم ، ثم عادت إلى المدينة .

وعندما بلغ الرسول ﷺ خبر هذا الحادث غضب  
للمقتل والمصادر لأنه وقع في شهر رجب وهو من الأشهر  
المحرام . وقد استغلت قريش هذا الحادث فقادت بحملة تشريع  
على المسلمين لأنهم انتهكوا حرمة الأشهر المحرم التي أجمعت  
فيها قبائل العرب على تحريم القتال .

ولم يسلم رجال هذهبعثة من ورطتهم إلا بعد نزول  
الوعي بإباحة القتال في أي وقت كان ، فقد أفرّ القرآن عبده الله  
ابن جحش على عمله ، ونزل قول الله تعالى : « بِسْمِ اللَّهِ عَنْ سَبِيلِ  
الشَّهْرِ الْحَرَامِ قَتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ . رَحِيدٌ عَنْ سَبِيلِ  
اللهِ ، وَكُفَّرَ بِهِ ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْ أَكْبَرِ  
عِنْدَ اللَّهِ ، وَالْفَتْنَةِ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ » (١) .

أحسن المشركون في مكة بالخطر يتهمون من محمد  
وأصحابه ، وخالفوا على تجارة لهم الذاهب إلى الشام ، والعاشرة  
منها ، وهذا لم يعرّكوا فرصة تحرّر بهم للاحسنة إلى محمد وأصحابه  
إلا اهتبوا لها . وكل ذلك كان الشأن بين المسلمين ، لكنه قربصوا  
لتتجارة قريش ، وهذا هي ذي القرحة تلوح للمسلمين ... حين  
عاد أبو سفيان من الشام بتجارة كبيرة ، فخرج النبي عليه  
السلام للاستيلاء على ثروته ، ولم يكن أبو سفيان كان شديداً  
الخلد ، فسلك طريقاً غير مألوف بتجارته بعد أن علم بخروج  
النبي عليه السلام وأصحابه ولم يتفق عند ذلك الحد بل أرسى إلى

(١) البقرة : ٢١٦ .

أبى أن ترجع حتى ترد ماء بدر ، وتقضم بها ثلاثة أيام تنحر  
البذر ، وتطعم الطعام ، وتشرب الماء ، وتسمع عزف  
البيان .. وأبى أبو جهل أن يعود بمن معه في سلام ، وصمم على  
أن يتحدى مشاعر الأنصار والمهاجرين ، ورؤكم لهم أن قريشاً  
لن تسكت إذا تعرض أحد لتجارتها .

كان النبي ﷺ قد خرج في عدد قليل من أصحابه ، إذ لم  
يتوقع أن تنهض قريش عن بكرة أبيها على هذا التحول ..  
وكان بين أمرىء إما أن يتمرض لهذا العدد الكبير الذي جاء  
يتحدى الإسلام والمسلمين في عقر دارهم : وبين أن يتركه  
ويعود سالماً ما دام لم يتمكن من الاستيلاء على التجارة .

وكان عقد مجلساً يشبه عجلس الحرب الآن ليستشير أصحابه ،  
ويستمع إلى آرائهم ..

وتحدى المهاجرون : فصموا على لقاء قريش والاشتباك  
معهم وأعلن ذلك بوضوح المداد بن عمرو حيث وقف خطيباً  
وقال :

يا رسول الله امض ما أراك الله فتحن معلمك : والله لا نقول  
لك كما قالت بنت إسرائيل لوسى : « فاذهب أنت وربك فقاتلا  
إنا ها هنا قاعدون » (١) .

(١) سورة المائدة : ٧٤ .

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم ما مقاتلون ،  
فهو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الفماد <sup>(١)</sup> بحالنا معلمك  
من دونه حتى تبلغه ؛ فقال له الرسول خيراً .

ولكن الرسول كان يهمه أن يعرف رأي الأنصار ، فقال  
 لهم : أشيروا علي أيها الناس — يقصد الأنصار —

فنهض سعد بن معاذ فقال : « يا رسول الله ! لقد آمنا بك  
وصدقناك وشهدنا أنَّ ما جئت به هو الحق ، وأعطيتك على ذلك  
يهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فماض يا رسول الله لما  
أردت ، فهو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر  
لخضائه معلمك ، ما تختلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا  
عدونا خداً ، إننا لنصبر في الخرب ، صدق في اللقاء ، ولعل  
الله يربك هنا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله » .

• • •

وكان معاذ بن جبل شديد الهمامة ، شديد اليقظة ، يحمل  
السلاح بيده ، ويشير لشاطئ المسلمين بمسانده ، ويدركهم بقول  
الرسول عليه السلام في فضل الجهاد : « طوبى لمن أكثر في الجهاد  
في سبيل الله من ذكر الله تعالى ، فإنَّ له بكل كلمة سبعين  
ألف حسنة ، كل حسنة منها عشرة أضعاف مع النبي فله عند الله  
من المزید .

---

(١) برك الفماد : يقال إنه أقصى معمور في الأرض .

قال : النفقه على قدر ذلك .

قال عبد الرحمن : فقلت لعذار رضي الله عنهم : إنما  
النفقه بسبعينة ضعف . فقال معاذ : قل فهمك ؛ إنما ذلك إذا  
أنتفروا وهم عقيمون بين أهليهم غير غزوة ، فإذا غزوا  
وأنتفروا خبأ الله لهم من حزانته رحمته ما ينقطع عنه علم العباد  
وصحفتهم ، فأولئك حرب الله ، وحزب الله هم الغالبون \* (١) .

• • •

عزى النبي ﷺ وأصحابه على لقاء هؤلاء المشركين ، فلما  
جاء الليل ، وألقى عذاره السوداء على الفيافي والبقاء بعث  
رسول الله ﷺ عيونه ليتسموا أخبار المشركين ، وكأن هؤلاء  
العيون من أشد المسلمين حذرا ، وحرصا ، ويكتفي أن تعرف  
أئمهم : علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن  
العوام ، فذهبوا في حذر صوب ماء بدر فوجدو صافيين  
فقبضوا عليهما ، وعادوا بهما إلى النبي ﷺ فرجدوه بصلي ،  
فسألوهما :

— من تسخرون ؟

---

(١) أخرجه الطبراني عن معاذ بن جبل . (حياته الصحابة) برواية محمد  
يوسف الكاندي هلوبي ٢٠٥ مكتبة السعادة بمصر .

— فقلالا : نحن نتني لقريش ، يعنونا نحضر لهم الماء  
ليشربوا .

— كذلك تماما .

— لم نكذب ، ولقد صدقناكم القول .

— بل أنتما ماذقاني لأبي سفيان .

— لا . نحن سقاة قريش .

— فحضر بوها وأوجعوهما ، فصاحتا :

— نحن سقاة أبي سفيان ، نحن سقاة أبي سفيان .

— فتركوهما ، وأيضاً أن عبر قريش وتجارتهم أصبحت  
قريبة منهم .

— فلما أتم النبي ﷺ صلاته قال :

— إذا صدقكم خضر بنصرهما ، وإذا كذبتم تركتموهما .  
صدقوا والله إنهم لقريش .

وأقبل رسول الله عليهما فسألهما عن مكان قريش .

فقالا : هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة  
القصرى .

فقال لهما رسول الله ﷺ : كم القوم ؟

قالا : كثير .

قالا : لا ندربي .

قال : كم ينحرى كل يوم ؟

قالا : يوماً تسعماً ، و يوماً عشراً .

فقال رسول الله ﷺ : القوم فيما بين السعماة والألف .  
و سعرى هنئها عدداً من أشراف قريش .

ثم أقبل الرسول على الناس فقال : هذه مكة قد ألت  
إليكم أفالاد أكبادها . و هررت الساعات سرعة ، وأخذ كل  
فريق مكانه أمام الفريق الآخر ، فارتفع صوت النبي ﷺ  
 قائلاً : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلاًها و فخرها ، تحادن ،  
ونكبة برسولك ، اللهم نصر لك الذي وعدتني » .

— « اللهم إن شئت هذه العصابة اليوم لا تعبد » .

— و كان أبو بكر رضي الله عنه يقول للنبي : يا نبى الله  
بعض من اشدتني ربك ، فإن الله منجز لك ما وعدك ، وقد خفت  
رسول الله ﷺ خففة وهو في عريشه . ثم اتبه فقال :

— أبشر يا أبو بكر ، أراك نصر الله ، هذا جبريل آخذ  
بعنان فرس يقوده على ثابتا النفع (١) .

وكانت وقعة بدر هذه يوم الجمعة صبيحة السابع عشر من

(١) النفع : الفبار .

شهر رمضان ، وبدأت بالبارزة ، فخرج من صفوف المشركين :  
عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ...  
وصاحوا : يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا .

فنادى النبي ﷺ : قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا  
حمزة وقم يا علي . وقد نادى النبي أول ما نادى على هؤلاء  
الثلاثة وهم جمِيعاً من بني هاشم حتى لا يظن أحدٌ أنه يفضل  
بقرباته على الموت .

— وبادر حمزةُ شيبةَ بن ربيعة فلم يمهله ، وقضى عليه  
في أول لقاء .

وبادر عليُّ الوليدَ بن عتبة فلم يمهله ، وقضى عليه .

وتصاول عبيدة وعتبة حتى نال كل منهما الآخر ، ولكن  
حمزة وعلياً لم يتمهلاً عتبة فانقضوا عليه بسيفيهما فقضيا عايه .

ثم ترااحف المحاربون من الفريقين ، ودنا بعضهم من  
بعض ، وامتنعت الأسنة ، وتلاقت السيف ، وراح معاذ بن  
جبل في وسط المعركة يفتح له طريقاً بسيفه بين الجموع  
الملاحمة ، وكان ابن عشرين سنة أو واحدٍ وعشرين ، فكان  
أثبت قدماً ، وأصلب عوداً ، وأشد درايةً باستعمال سيفه ،  
وأكثر خبرة في الرمي بالقوس .. وأيلى في بدر بلاءً حساً ،  
وأسفرت هذه المعركة عن تحقيق وعد الله لنبيه ، فانتصر  
المسلمون نصراً مؤزراً .

فسقط صناديد قريش صرحي . وحاول الباقيون النجاة من سيف المسلمين ثم لسوا الأدبار . وترك المشركون وراءهم كثيراً من العنائم والآلام ، وقاد المسلمين مختلفون في أمر العنائم ، ليغزل أمر النساء بالقصاء العادل ، غزل قول الله تعالى : « واعلموا أنما شتمتم من شيء » فإن الله خمسه ولرسول ولذى الفربى ، واليقانى ، والمساكين . وابن السبيل <sup>(١)</sup> .

فرد كل مسلم ما أخذه إلى النبي عليه السلام ، ورضي به حكماً ..

• • •

انطلق معاذ بن جبل من غزوة بدر سعيداً بهذا النصر العظيم الذي ثبتت به أركان الدين الجديد . وظل على صحبيته لنبيه وحبيبه ، يجدد في حفظ آيات القرآن الكريم ، ويحرص على أن يكون معه في كل غزواته ووقائعه ، شهد أحداً ، والخندق ، والمشاهد كلها مع الرسول عليه السلام . وأباى فيها جميعها البلاء الحسن .

ولزم صحبة النبي عليه السلام ، يروي ما يسمعه منه من الأحاديث . يذيعها بين قومه وآلاته . ويخفظ آيات القرآن فور نزولها ، ويغنى الناس فيما خفي عليهم من أمور دينهم ، حتى

(١) سورة الأنفال : ٤١.

كان جده برأ المكانة التي أتته به لها رسول الله ﷺ في بلاد اليمن  
ليرعلم الناس أمور دينهم ، ويختضي بينهم في مسائلهم ، ولهن  
أولى منه بهذه المكانة . وقد قال فيه الرسول ﷺ فيما رواه  
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « خذوا القرآن من أربعة :  
من ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وصالح مولى  
أبي حذيفة » .

وروى سهيل بن أبي حتشمة عن أبيه قال : كان الذين يُفتون  
على عهد رسول الله ﷺ من المهاجرين : حمر وعثمان وعلي .  
وثلاثة من الأنصار : أبي بن كعب . ومعاذ بن جبل ، وزيد بن  
ثابت » .

فمع معاذ في اليمن :

## مَنْفَعَةُ الْيَسْمَنِ

قال رسول الله ﷺ :

أَرْحَمُ أُمَّتِي يَأْمُمُهُ أَبُو بَكْرٌ ،  
وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحِلَالِ وَالْحِرَامِ مَعَاذُ  
ابْنِ جَبَّابَةَ .

شي رسول الله عليه السلام بالقبائل التي أقبلت على الإسلام من خارج المدينة ، وادهم اهتماماً كبيراً بتعليمهم فواحد الدين الإسلامي وآدابه ، لذخبر لهم من بين أصحابه من وجده قادرأ على هذه المهمة الخطيرة ، انتدب من بين أصحابه أفقهم في الدين ، وأقدرهم على الفقيها ، وأخلصهم بالطهارة والحرام . وكان معاذ بن جبل من بين الصحابة الذين توافر فيه هذه الصفات .

فإنما بعثت رسول ملوك اليمن إلى رسول الله عليه نعلم إسلامها ، وإسلام من وراءها ، وتسأله أن يبعث منها من أصحابه عن يعلمهم أمور دينهم ، وربما قضى بهم بما أنزل الله انتدب منه المهمةخمسة رجال من أصحابه لهم : خالد بن سعيد ولاه على حنفاء ، والمهاجر بن أمية ولاه على كندة ، وزریاد بن لمیاد ولاه على حضرموت ، ومعاذ بن جبل على الجند وجمع الصدقات من العمال الذين باليمن ، وأبو موسى الأشوري على زبيد ، وزمرة ، وعدن والمساجل .

ولم يعيّن رسول الله عليه معاذ بن جبل في هذه المهمة الخطيرة إلا بعد أن تأكد من قدرته ، وحسن تصرّفه ، فاختبره

## فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ :

— هم تقضي يا معاذ إن عرضت ذلك قضاء؟

— قال : أقضى بما في كتاب الله .

— قال عَلِيُّ : فإن لم يكن في كتاب الله؟

— قال : أقضى بما قضى به الرسول .

— قال : فإن لم يكن فيما قضى به الرسول؟

— قال : قلت أجهد رأيي ولا آلو (أي لا أقصر) .

— قال : فضرب رسول الله عَلِيُّ صدره و قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله عَلِيُّ لما يرضي رسول الله .

وهكذا اطمأن رسول الله إلى قضايه ، وأن في استطاعته أن يلي هذا المنصب الخظير الذي يقيم العدالة بين الناس .

ولكن ثمة سبب مباشر آخر من الأسباب أدى إلى اختيار معاذ في هذه البعثة فقد كان معاذ كريماً ينفق ماله بسخاء في سبيل الله حتى أدى ذلك إلى أن يستدرين من بعض المسلمين : وتكاثرت عليه الديون ، ولم يقدر على السداد .

روى جابر بن عبد الله قصته فقال :

كان معاذ بن جبل رحمة الله من أحسن الناس وجهها ،

وأحسنهم خلقاً ، وأسمح لهم كفراً ، فادان ديناً كثيراً ، فلزمه  
غرماً ، وألحوا في طلب ما عليه من دين ، فاختطف منهم  
وتغيب في بيته أيامًا ، فذهب غرماً إلى رسول الله ﷺ ،  
وطلبوه منه أن يحضر معاذًا ليأخذ لهم حقه منه .

فأرسل إليه رسول الله من أحضره .

فقال غرماً لرسول الله : خذ لنا حقنا منه .

وكان الرسول ﷺ أعلم بحاله .

فقال : رحم الله من تصدق عليه .

فتصدق عليه ناس وأبى آخرون .

فقالوا : يا رسول الله خذ لنا حقنا منه .

فقال رسول الله : أصبر لهم يا معاذ .

ثم لم يجد رسول الله بدًا من أن يخلع معاذًا من ماله ، ودفعه  
إلى غرماً فاقتسموه بينهم ، فأصابتهم خمسة أسابيع حقوقهم ،  
ولم يجد عنده شيئاً آخر فقالوا : يا رسول الله بعه ثنا .

فقال لهم : تخلوا عنه فليس لكم إليه سيل .

فانصرف معاذ إلى بني سلمة فقال له قائل منهم :

يا أبا عبد الرحمن لو سألت رسول الله ﷺ ، فقد  
أصبحت اليوم معلماً .

قال معاذ : فمكثت يوماً ثم دعاه رسول الله ﷺ فبعثه إلى  
البحرين و قال له : اذهب إلى اليمن لعل الله يجير لك ، ويؤديك عنك  
دربك .

وخرج النبي ﷺ يوم دعوه معاذًا وأصحابه .. وطاف عليه  
السلام يشفي تحت راحلته ، ومعاذ راكب ..

وأمثال الرسول الكريم مشيته معه حتى المكان يتعلّم منه ثم  
أوصاه فقال له : حفظت الله من بين يديك ومن خلفك ، وحن  
يمينك ، وحن شمالك ، ومن فوقك ، وحن تحتك ، ودرأ عذرك  
شرور الإنس والجن (١) .

ثم كان آخر ما أوصاه به الرسول الكريم : أحسن خلقك  
مع الناس يا معاذ .

وقد كتب الرسول الكريم إلى أهل البحرين : إني قد بعثت  
عليكم من خير أهلي ، وإلي علمهم ، وإلي دينهم .

وقال عليه السلام له : يا معاذ إنك عصي إلا تلخافي بعد  
عامي هذا ... ولحلك أن تحرّج سجدي وقبرى ..

كان ذلك في شهر ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة .

فبكى معاذ جز عاً لفراق نبيه وحبه محمد صلوات الله

(١) هذا الحديث ذكره سيف في الفتوح بسنده عن عبد الرحمن .

عليه ، وبكى معه المسلمون .

\*\*\*

وصدق ما خبر به نبی اللہ ، فقد حُرِم معاذ من هذه  
الساعة رؤیة نبیه وحبيبه ، حيث قد فارق الحياة وهو في اليمن ،  
وبكى معاذ ما شاء الله أن يبكي حين وصله النبأ الأليم .

في عهد أبي بكر :

ظل معاذ يلي أمر اليمن بعد انتقال النبي إلى الرفيق الأعلى في  
عهد أبي بكر ، حتى مُنحت حماه وكثُر ماله ، وذهب يؤدي  
فريضة الحج ، وكان عمر بن الخطاب عاملاً أميراً على الحج ،  
فرأى معاذ بن جبل ومعه رقيق له ووصاده .

قال عمر : لِمَنْ هُؤلَاءِ العبيد والوَصَّافَاءِ يا أبا عبد  
الرحمن ؟

قال معاذ : هم لي .

قال عمر : من أين هم لك ؟

قال معاذ : أهداوا لي .

قال عمر : أطعنى وأرسل بهم إلى أبي بكر ، فإن طلبهم  
للشَّفَّافِ لدك .

## أرسل بهم إلى أبي بكر !

ثم بات ليلته فلما أصبح الصباح قال يا بن الخطاب :

— ما أراني إلا مطبلوك ؟ إني رأيت الليلة في المنام كأني أجري إلى النار وأنت أخذ بمحجزي ، تمنعني من الدخول إليها .

— ثم انطلق بما معه إلى أبي بكر . وأطلعه على كل شيء .

— فقال أبو بكر : أنت أحق بهم . هم لك .

— فانطلق بهم إلى أهله ، فصنف العبيد خلفه وصلى بهم ، فلما انصرف من الصلاة قال لهم : من تصسلون ؟

قالوا : الله تبارك وتعالى .

قال : فانطلقو فأنتم له . ( وأعف لهم الله ) .

## وفي رواية أخرى :

أن عمر بن الخطاب حين رأى معاذ بن جبل قد كثُر ماله بعد موت الرسول عليه السلام . ذهب إلى أبي بكر فقال له :

— يا أبا بكر : أرسل إلى هذا الرجل فدع له ما يعيش ، ونخلد سائره منه .

— فقال أبو بكر : إنما بعثه النبي عليه السلام إلى اليمن ليجبره من

دينه ، ولست بآخذ منه شيئاً إلا أن يعطيني .

— فانطلق عمر إليه إذ لم يطعه أبو بكر : فذكر ذلك لمعاذ .

— فقال معاذ : إنما أرسلني النبي عليه السلام إلى اليمن ليجبرني ، ولست بفاعلاً .

وفي اليوم التالي : أتى معاذ عمر فقال له : قد أطعتك ، وأنا فاعل ما أمرتني به ، فإني رأيت في المنام أنني في حومة ماء ، وقد خشيت الغرق فخلصتني منه يا عمر .

فأتنى معاذ أبا بكر ، فذكر ذلك له ، وحلف أنه لا يكتبه شيئاً .

قال أبو بكر : لا آخذ منك شيئاً ، قد وهبته لك .

قال عمر : هذا المال قد حلَّ لك الآن وطاب .

\* \* \*

وكان معاذ معلماً حكيمًا :

كان يعظ الناس وعظاً رفيعاً ، ويعلمهم أمور دينهم في رفق ولبن .

روى أنه صائِي بالناس يوماً ، وكان يشتكي وجعاً ألم برجليه ، فبسط رجله حين جلس لتشهد ، فبسط القوم

بسط أرجلكم ، فلاني إنما بسطت رجلي في الصلاة لأنني  
أشتكى بها .

وهكذا كان معاذ مرباً حكيمًا ، أثني على القوم أولاً  
تشجيعاً لهم ، ثم بيّن لهم خطأهم بعد ذلك .

وخل معاذ بالبيعن حتى ولي عمر بن الخطاب بعد الصديق ،  
فأمره بالذهب إلى الشام ليعين أبي عبيدة في شغونه ، ويكون  
يداً له في أمره ، ولساناً مبيناً فيما يعرض له : وأطاع معاذ  
أمر عمر ، وتوجه إلى صديقه وحبيبه أمين الأمة ، أبي عبيدة  
الحرّاج . فللى الشام لترى ماذا جرى على يديه ، وماذا جرى له .

## مَعَ أَبْنِي الْمُشَكَّه

قال معاذ في رثاء أبي عبيدة :  
أيها الناس : قد فجعتم ببر جل  
ها أزدهم أبي رأيت عبداً أبوا  
صلراً ، ولا أبعد من الفائلة ، ولا  
أشد حباً للنهاية ، ولا أنصح منه ،  
لترحموا عليه .

لم يكدر يتلقى معاذ أمر عمر بالترجمه إلى الشام ليكون مع أبي عبيدة حتى أسرع بالله هاب إليه ، فأبوا عبيدة أمن الأمة كما لقبه بذلك رسول الله ﷺ ، وهو الذي أشهد في إخمام الفتنة يوم السقيفة بعد موت النبي ﷺ ، وأسرع بمباغة الصديق ، وقال للناس : بایعوا أيها الناس ، فاقبلوا بعده مبارعين .

وكان أبو عبيدة من أكثر الصحابة اتباعاً لرسول الله ، وقد آثر أن يخرج من الدنيا كما جاء إليها .

فقد روى أن الروم بعثوا إلى أبي عبيدة بن الجراح يطلبون منه أن يبعثوا إليه رجلاً منهم يعرض عليه الصلح ، فجاء الرجل فوجده جالساً في وسط القوم ، عليه درعه ، وهو ممسك بضرسه ، وبيده سهام يقلبهما ، وهو جالس على الأرض .

فقال له : أنت أمير هؤلاء القوم ؟

قال : نعم .

قال : ما يحصلك على الأرض ؟

لِمَ لَوْ بَهَتَهُ فِي وَثَنَاهُ وَلَمْ يَحْكُمْ لِبَهَاتِ الْمَالِ  
ذَلِكَ يَضْعِلُكَ عَنْ اللَّهِ ؟ أَوْ هَلْ يَبْعَدُكَ عَنِ الْإِحْسَانِ ؟

فرد عليه أبو عبيدة قائلًا : إن الله لا يستحي من الحق  
لأنه أصدقك ، لقد أصبحت لا أملك إلا سيفي ، وفرسي ،  
وسلاحني ، ولقد احتجت أمس إلى نفقة فاقررت من أخي  
هذا شيئاً ، وأشار إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه وكان عنده  
شيء فاقرر رضته منه . ولو كان عندي بساط أو وسادة ما كتلت  
لأجلس عليه ، وأجلس أخي معاذًا على الأرض ، ولعله  
خير مني منزلة عند الله عز وجل .

وهكذا عرف أبو عبيدة لصاحبه فضله ومكانته ، وعرف  
معاذ لأبي عبيدة فضله ومكانته .

### طاعون عمواس :

ظل معاذ بن جبل ملازمًا لأبي عبيدة حتى كان طاعون  
عمواس ، وعمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس — وقد  
أصيب أبو عبيدة في هذا الطاعون فقام عمرو بن العاص فقال :  
تفرقوا عنه أيها القوم ، فإنما هو بمنزلة نار . فقام معاذ بن  
جبل فقال : لفديك فيما ولأنت أضل من حمار أهلك .  
سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا هو برحمه هذه الأمة .  
اللهم فاذكر معاذًا ، وآل معاذ فبمن تذكره بهذه الرحمة

و لا شك أن النبي بهذا القول يحث الناس على الرضا  
بالقضاء ، والصبر عند البلاء ، فذلك أدعى إلى الرحمة ،  
و إجزال الثواب .

ولما أشتد الوجع يأتي عبيدة مختلفاً ، فقال الناس  
له : ادع الله برفع عنا هذا الرجز .

قال : إنه ليس برجز ، ولكنه دعوة نبيكم ﷺ ، وموت  
الصالحين قبلكم ، وشهادة يختص الله بها من يشاء منكم .

أيها الناس : أربع خلال من استطاع إلا يدركه شيء  
منهن فلا يدركه :

قالوا : وما هي ؟

قال : يأتي زمان يظهر فيه الباطل ، ويصبح الرجل على  
دين ويس على آخر . ويقول الرجل : والله ما أدرى على  
ما أنا ؟ لا يعيش على بصيرة ، ولا يموت على بصيرة ، ويُعطى  
الرجل المال من مال الله على أن يتكلم بكلام الزور الذي  
يسخط الله .

اللهم آت آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة .  
فأحبيب ابنه . فقال : كيف تحدانكما ؟

قالا : يا أباذا : ه الحق من ربك فلا تكون من  
المترفين <sup>(١)</sup> .

---

(١) سورة البقرة : ٢٤٧ .

لها ، وإنما فهمها بما في إيمانها أن الله هو الشهادون .

ثم طعنت أمرأناه فنهلكنا . وطعن هو في إيمانه فجعل يمسها بفديه ويقول : « اللهم إلأنها صغيرة ، فبارك فيها ، فإنك تبارك في الصغير ... » .

وعن داود بن الحصين : أنه بلغه حين وقع الوجع عام عمرواس ، قال أصحابه معاذ :

— هذا وجز له وقع .

— فقال معاذ : أتجلعون رحمة رحم الله بها عباده كعذاب عذاب الله به قواماً سخط عليهم ؟

إنما هو رحمة خصكم الله بها ، وشهادة خصكم الله بها ، اللهم أدخل على معاذ وأهل بيته من هذه الرحمة ، من استطاع منكم أن يموت فليموت من قبل فتن ستكون . من قبل أن يكفر المرء بعد إسلامه ، أو يقتل نفساً بغیر حلتها ، أو يظاهر أهل البغي ، أو يقول الرجل ما أدری على ما أنا بايانٌ مت أو عشت أعلى حق أو على باطل .

معاذ يرثي أبي عبيدة :

لما اشتد الوجع بأبي عبيدة استخلف معاذ ليصلّي بالناس ، ويتعمّد أمورهم ، فظلّ معاذ يلي أمر الناس و يصلّي بهم ، حتى

انتقل أبو عبيدة إلى جوار ربه ، فخطب معاذ الناس فقال :

أيها الناس : توبوا إلى الله من ذنوبكم ، فأيما عبد يلقى الله تعالى تانياً من ذنبه كان على الله حفناً أن يغفر له ، ومن كان عليه دين فليقضه ، فإنَّ العبد مرهن بيديه .

ومن أصبح منكم مهاجراً أخاه فليصالحه ، ولا ينبغي لسلم أن يهجر أخاه أكبر من ثلاثة أيام .

أيها المسلمون : قد فجمعتم برجل ما أزعم أنني رأيت عبداً أبهر صدراً ، ولا أبعد من الغائلة ، ولا أشد حباً للعامة ، ولا أنسح منه .

فشرحوا عليه ، واحضروا الصلاة عليه .

وحصل معاذ على أبي عبيدة ، ونزل في قبره بنisan هو وعمر وبن العاص والضحاك بن قيس .

## ولابَسْتَهْ لَمْ تُطْلَعْ

قال عبد الرزاق :

كان معاذ شاباً جميلاً ، سمحاً ،  
لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه .

لما ولَى عمر بن الخطاب الخلافة أُرسِلَ معاذًا إلى بني كلاب ليقسم فيهم أتعظياتهم ، ويوزع الصدقات على فقرائهم ، بعد أن يجمعها من أغنىائهم فقام معاذ بما عهد إليه ، وعاد إلى زوجه صيفر اليدين ، خالِي الوفاصل ، بادي الإنفاض : ليس معه إلا حِلْسُه الذي خرج به يلفه على رقبته ، فقالت له امرأته : أين ما عدت به من هدايا لامرائك؟

فقال لها : لقد كان معي رقب يقتضي يحصي على .

فقالت : قد كنت أمنيًّا عند رسول الله ، وأبكي بذكر ، ثم جاء عمر فبعث معي رقباً يحصي عليك يا ! وأشاعت ذلك في نسوة عمر ، واشتكى لهن .

فبلغ ذلك عمر ، فلما معاذًا وقال :  
— ألا بعثت معي رقباً يحصي عليك يا معاذ؟

— فقال : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنني لم أجده شيئاً أختصر به إليها إلا ذلك .

فحضرت عمر ، وأعطاه شيئاً ، وقال له :

أرضها به .

أما كيف ذهب إلى الشام وكيف أصبح والياً عليها ،  
فيرجع ذلك إلى أن يزيد بن أبي سفيان حين كان والياً على  
الشام أرسل إلى الفاروق يقول له :

— يا أمير المؤمنين : إن أهل الشام قد كثروا ، وملأوا  
المدن ، وهم في حاجة إلى من يعلمهم القرآن ، ويفقههم في  
الدين ، فاعيني يا أمير المؤمنين برجال يعلموهم .

فدعى عمر الذين جمعوا القرآن في عهد النبي عليه الصلاة  
والسلام ، وهم : معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبو  
أبيوبي الأنصاري ، وأبي بن كعب ، وأبو الدرداء . وقال  
 لهم :

« إن إخوانكم من أهل الشام قد طلبوا إلي أن أبعث  
إليهم من يعلمهم القرآن ، وبفقههم في الدين فاعينوني —  
رحمكم الله — ثلاثة منكم ، فإن أحبتم فاقرعوا ، وإلا  
التدبرت ثلاثة منكم .

فقالوا : ولهم نقرع !

أَمَا أَبُو إِيُوبَ فَشِيعَ طَاعُونَ فِي السَّنَ ، وَأَمَا أَبُو فَرِيجَلَ  
صَرِيصَ ، فَلَمْ يَبْقَ لِإِلَّا نَحْنُ الْمُلَائِكَةَ .

فَقَالَ عُصَمٌ : إِبْدَأُوا بِحَمْصَ فَإِذَا رَضِيْتُمْ حَالَ أَهْلَهَا فَاقْرَسُوكُوا  
أَحَدَكُمْ فِيهَا ، وَلِيَدْهُبَ وَاحِدًا مِنْكُمْ إِلَى دَمْشَقَ وَالْآخَرُ إِلَى  
فَلَسْطِينَ .

فَقَامَ الْمُلَائِكَةُ بِمَا أَمْرَهُمْ بِهِ الْفَارُوقُ ، فَبَقَى عَبَادَةُ بْنُ الصَّابَاتِ  
فِي حَمْصَ ، وَذَهَبَ أَبُورُ الدَّرَدَاءِ إِلَى دَمْشَقَ ، وَمَضَى مَعَاذُ بْنُ  
جَبَلَ إِلَى فَلَسْطِينَ .

وَهُنَّاكَ التَّقِيُّ بِحَبِيبِهِ أَبُو عَبِيدَةَ ، وَلَازَمَهُ حَقِّيُّ لَقِيَ رَبِّهِ فِي  
طَاعُونَ « عَمَوَاسٍ » ، فَصَدَرَ أَمْرُ الْخَلِيفَةِ بِأَنْ يَلِي مَعَاذَ مَكَانَ  
أَبُو عَبِيدَةَ .

• • •

لَمْ يَسْلِمْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ طَاعُونَ عَمَوَاسٍ ، وَكَانَ  
مَعَاذُ قَدْ طَلَبَ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى مَعَاذَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ هَذِهِ  
الرَّحْمَةِ ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاهُ ، فَمَاتَ بِهِ ابْنَاهُ ، وَزَوْجُتَاهُ .  
وَأَصَبَّبَ مَعَاذَ بَهِ فِي إِصْبَعِهِ وَحَلْقَهِ .

وَفَاتَهُ :

عَنْ الْحَارِثِ بْنِ حَمِيرَةِ الرَّبِيدِيِّ قَالَ :  
كَنْتُ بِحَالِي أَعْنَدُ مَعَاذَ بْنَ جَبَلَ وَهُوَ يَمْوتُ فَبَغَى عَلَيْهِ

فَوْعَزْتُكَ إِنِّي أَحْبَكَ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى كَانَ يَقُولُ :  
يَا رَبَّ إِنَّكَ لَتَخْتَنِي ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أَحْبَكَ ! !  
وَقَالَ عُمَرُ وَبْنُ قَيْسَ :  
إِنَّ مَعَاذًا حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ :  
اَنْظُرُوا اَصْبَحَنَا ؟  
فَقَبِيلَ لَهُ : لَمْ نَصْبِعْ .  
فَلَمَّا أَتَاهُ ثَانِيَةً قَالَ : اَصْبَحَنَا ؟  
ثُمَّ قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لَيْلَةَ صِبَاحُهَا إِلَى النَّارِ ، مَرْحَبًا  
بِالْمَوْتِ مَرْحَبًا ، زَائِرٌ حَبِيبٌ ، جَاءَ عَلَى فَاقِهِ .

اللَّهُمَّ تَعْلَمُ أَنِّي كَنْتُ أَخَافُكَ ، وَأَنَا يَوْمًا أُرْجُوكَ . إِنِّي لَمْ  
أَكُنْ أَحْبَبَ الدُّنْيَا ، وَطُولَ الْبَقَاءِ فِيهَا بِلْحَرِي الْأَنْهَارِ ، وَلَا  
لِغَرَسِ الْأَشْجَارِ ، وَلَكُنْ لَظْمًا الْهَوَاجِرِ ، وَمِكَابِدَةَ السَّاعَاتِ ،  
وَمِزاحِمَةَ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكْبَةِ عِنْدَ حَلْقِ الذِّكْرِ .

\* \* \*

وَقَالَ الْحَسَنُ :  
لَا حَضَرَ مَعَاذَ الْمَوْتِ جَعَلَ يَبْكِي .  
فَقَبِيلَ لَهُ : أَبْكِي وَأَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !!!  
وَأَنْتَ أَنْتَ ! !

فقال : ما أبكي جرعاً من الموت أَنْ حلَّ بي ، ولا  
لدنيا تركتها بعدي ، ولكن إنما هي القبرستان ، فلا أدرى  
من أَيِّ القبرستان أنا ؟

ولم تمض عليه أيام حتى فاضت روحه إلى بارتها ... رحم  
الله معاذًا فخذ كان أمة قاتلت الله ، شدید الصلة به ، يكثُر القيام ،  
والتهجد بالليل ، روى نور بن يزيد قال :

كان معاذ إذا تهجد من الليل قال :

« اللهم نامت العيون ، وغارت النجوم ، وأنت حي قيوم .

اللهم طلي الجنة بطيء ، وهربي من النار ضعيف .

اللهم اجعل لي عندك هدى تردد إلي يوم القيمة .

إنك لا تخلف الميعاد »

وأختلف في تحديده وفاته :

فقيل توفي سنة ثمانين عشرة في خلافة عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة .

وقال سعيد بن المسيب : رفع عيسى عليه السلام وهو ابن  
ثلاث وثلاثين سنة ، ومات معاذ رحمة الله وهو ابن ثلاث  
وثلاثين سنة .

وقيل كان عمره ثمان وعشرين سنة ، وهذا بعيد فإنه  
شهد العقبة وهي قبل الهجرة وكان عمره ثمان عشرة سنة ،

لَا يَأْتِي مُلَكُ الْمَوْتِ إِلَّا بِالْحَقِّ إِنَّمَا أَنْذِرْتُكُمْ مَا وَالَّذِي كُنْتُ تُعَذَّبُونَ  
النبي ثمانى سنوات ، فيكون على هذا قد توفي وهو ابن سنت  
وثلاثين سنة .

وقد استعمل عمر بن الخطاب موضوعه عمر وبن العاص .

رحم الله معاذ ، لقد قال فيه عمر بن الخطاب حين وفاته :

لو أدركت معاذ بن جبل فاستخلفته فسألني ربي عنه  
لقلت يا رب : لقد سمعت نبيك يقول : « إن العلماء إذا  
اجتمعوا يوم القيمة ، كان معاذ بن جبل بين أيديهم قدرة  
حجر » .

# الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم المؤلف . . . . .	٥
بين يدي هذا الكتاب . . . . .	٧
النشأة والولد . . . . .	١٣
بداية الطريق . . . . .	١٧
معاذ في العقبة الثالثة . . . . .	٢٩
الهجرة والمؤاخاة . . . . .	٤١
معاذ المجاهد . . . . .	٦١
معاذ في اليمن . . . . .	٧٧
مع أمين الأمة . . . . .	٨٧
ولاية لم تتصل . . . . .	٩٥
وفاته . . . . .	٩٩